

السُّؤَالَةُ بَيَانِيَّةٌ

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تَأَلَّفَ
الدُّكْتُورُ فَاضِلُ صَاحِبِ السَّامَرِيِّ

الْجُزْءُ الثَّانِي

دَارُ الْبَيْتِ كَثِيرٌ



سُئِلَ بَيَانُهُ

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الْجُزْءُ الثَّانِي

● الموضوع: علوم القرآن

العنوان: أسئلة بيانية في القرآن الكريم - الجزء الثاني

تأليف: الدكتور فاضل صالح السامرائي

الطبعة الأولى

1432 هـ - 2011 م

ISBN 978-614-415-041-2

© حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع و الحاسوبي و غيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من المؤلف.

ISBN 978-614-415-041-2



9 786144 150412

● الطباعة: مطابع المستقبل - بيروت - التجليد: شركة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

● الورق: كرم - ألوان الطباعة: لوانان - التجليد: كرتونه

● القياس: 24×17 - عدد الصفحات: 152 - الوزن: 420 غ

دمشق - سوريا - ص.ب. 311

حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي - هاتف المبيعات: 2225877 - 2228450

إدارة تلفاكس: 2243502 - 2258541

بيروت - لبنان - ص.ب. 113/6318

برج أبي حيدر - خلف ديموس الأصلي - بناء الحديقة - تلفاكس: 01 817857 - جوال: 03 204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com



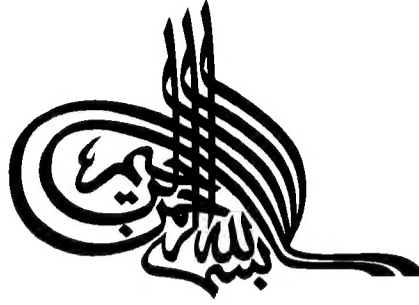
سلسلة بيانيّة

في القرآن الكريم

تأليف
الدكتور فاضل صالح السامرائي

الجزء الثاني

دار ابن كثير
دمشق - بيروت



﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩١﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٢﴾
عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٣﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾

[الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَسْئَلَةُ بَيَانِيَّة

١٠١ - قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] .

وقال في سورة الإسراء : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] .

سؤال : لماذا أشار إلى الكتاب في آية البقرة ب : (ذلك) الذي هو للبعيد ، وأشار إلى القرآن في آية الإسراء ب : (هذا) الذي هو للقريب ؟

الجواب : أشار إلى الكتاب ب : (ذلك) ليدل على علوه وبعده عن الرّيب ، وأنه بعيد المنال عن أن يُؤتى بمثله كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٢٣] فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ ... ﴾ [البقرة : ٢٣ - ٢٤] .

بخلاف قوله في الإسراء : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] فلمّا كان الأمر في ذكر هداية الناس ومعرفتهم به وبأحكامه ، انبغى أن يكون قريباً منهم .

ولا يحسنُ أن يقال في آية الإسراء : (إن ذلك الكتاب يهدي للتي هي أقوم) وذلك أنه تقدّم الآية قوله : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ... ﴾ [الإسراء : ٢] .

فلو قال : (إن ذلك الكتاب) لكانت الإشارة محتملةً إلى كتاب موسى ، وكذلك لو قال : (هذا الكتاب) .
فذكر القرآن الذي هو علّم على كتاب سيدنا محمد ﷺ .

هذا إضافة إلى أنه لم ترد الإشارة إلى لفظ القرآن إلا ب : (هذا) ؛ لأنه من القراءة ، والقراءة ينبغي أن تكون من شيء قريب ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

وقال : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [يونس : ٣٧] .
وقال : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الإسراء : ٨٩] .
وقريب من هذا قوله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّزَكَّىٰ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] .

وقوله : ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأنعام : ٩٢] .
وذلك أنه لما قال : (أنزلناه) صار قريباً .

وقال تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا ﴾ [الأحاف : ١٢] فأشار ب : (هذا) ، وذلك أنه قال في الآية : ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّنُذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحاف : ١٢] .

فلو قال : (وذلك كتابٌ) لاحتملت الإشارة إلى كتاب موسى الذي تقدّم ذكره في الآية .

١٠٢ - قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٣] .

وقال في سورة النور : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [النور : ٢٩] .

سؤال : لماذا قال في آية البقرة : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ، وقال في آية النور : ﴿ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ فلم يذكر الفعل (كنتم) ؟

الجواب : الآية في البقرة هي قول الله للملائكة في قصة آدم ، فذكر لهم أنه يعلم غيب السموات والأرض ، ويعلم ما يبدون وما كانوا يكتُمون ، فاستغرق علمه الزمن كله والأمر كله .

وقوله : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ يشمل ما كنتموه على وجه الاستمرار ، فشمّل الماضي كله .

وما كانوا يكتُمونه ، قيل : هو قولهم : لن يخلق الله تعالى أكرم عليه منّا ^(١) ولا أعلم منّا .

وقيل : هو ما أسرّه إبليس في نفسه من الكبر ^(٢) .

فقوله : ﴿ مَا تُبْدُونَ ﴾ شمل علمه الحال .

وقوله : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ شمل علمه الماضي على جهة الاستمرار .

(١) انظر : روح المعاني (١ / ٢٢٨) .

(٢) انظر : فتح القدير (١ / ٥٢) .

فشمل علمه الزمن كله ، والأمر كله .

وأما آية النور فهي في دخول بيوت غير مسكونة ، وربنا يعلم ما يبدون في دخولهم البيوت ، وما يكتُمونه في أنفسهم ، وماذا يضمرون فيها عند الدخول ، وذلك هو المهم . أما ما قبل ذلك ، فلا يدخل في هذا الأمر .

وقيل في قوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ : « وعيد لمن يدخل هذه المداخل لفساد أو اطلاق على عورات »^(١) أو التجسس على قطانها ، أو بقصد أذاهم ، أو سرقة متاع .

فناسب كل تعبير موضعه .

١٠٣ - قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة : ١١٣] .

وقال نحو ذلك في مواطن أخرى (النحل : ١٢٤ ، الحج : ٦٩ ، الزمر : ٣) .

وقال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس : ٩٣] .

وقال نحو ذلك في سورة الجاثية (١٧) .

وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ [الحج : ١٧] .

وقال نحو ذلك في السجدة (٢٥) .

سؤال : لماذا قال في مواضع (يحكم) ، وفي مواضع (يقضي) ، وفي مواضع (يفصل) ؟

الجواب : قالوا : « الحكم بالشيء هو أن تقضي بأنه كذا ، أو ليس بكذا ، سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه »^(١) .

وقد تحكم على أمر أنه حق أو باطل ، من غير فصل أو قضاء أو إلزام ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل : ٥٨ - ٥٩] .

وقال : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْفِهُنَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤] .

أما القضاء فأصله القطع والفصل . وقضاء الشيء إحكامه ، وإمضاؤه ، والفراغ منه .

والقضاء في اللغة على وجوه ؛ مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه . وكل ما أحكم عمله وأتم أو ختم ، أو أدّى أداءً أو أنفذ أو أمضى ، فقد قُضي .

والقاضي في اللغة معناه : القاطع للأمور المحكم لها .

وقد يكون بمعنى الفراغ ، نقول : (قضيت حاجتي) و (قضيت فلان صلاته)^(٢) .

(١) تاج العروس (حكم) .

(٢) انظر : لسان العرب (قضى) .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ [القصص : ٢٩] .

وقال : ﴿ وَقَضَى الْأَمْرَ وَأَسْرَتَ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ [هود : ٤٤] .

وجاء في (الفروق اللغوية) في الفرق بين الحكم والقضاء : « إِنَّ القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام ، من قولك : (قضاء) إذا أتمه وقطع عمله ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ﴾ [الأنعام : ٢] .

والحكم يقتضي المنع عن الخصومة . . . ويجوز أن يقال : الحكم فصل الأمور على الأحكام بما يقتضيه العقل والشرع »^(١) .

فالقضاء أشد ؛ لأنه يقتضي إمضاء الحكم وإتمامه والفراغ منه .

وأما الفصل فإنه إبانة أحد الشيئين من الآخر ، حتى يكون بينهما فرجة ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَ الْعَيْثُ ﴾ [يوسف : ٩٤] .

والفصال : الطلاق ؛ لأنه تدور معانيه على البعد .

جاء في (لسان العرب) : « الفصل بؤن ما بين الشيئين ، والفصل الحاجز بين الشيئين . والفصل القضاء بين الحق والباطل »^(٢) .

فهو أشد مما قبله ؛ لأنه يفيد الابتعاد .

والقرآن يستعمل الحكم فيما هو أخف من القضاء ، ويستعمل القضاء فيما هو أخف من الفصل .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل : ١٢٤] .

(١) الفروق اللغوية (٢١) .

(٢) لسان العرب (فصل) .

وقال : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس : ٩٣] .

فقد قال في آية النحل : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ ﴾ .

وقال في آية يونس : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي ﴾ ذلك أنه ذكر في آية يونس الاختلاف بعد مجيء العلم ، وهو أشدُّ مما قبله ؛ مما لم يذكر فيه ذلك .

ونحو ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [١٦] وَآتَيْنَاهُمْ يَتَنَبَّي مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الجاثية : ١٦ - ١٧] . وهو نظير ما مرَّ .

أما الفصل فهو أشدُّ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمُصَرِّيِّينَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج : ١٧] .

فأنت ترى أن الفصل إنما هو بين مللٍ مختلفة مؤمنة ، وأهل كتاب ، ومشركين . وهذا يقضي الافتراق بين هذه الملل في الحكم ، وفي الخاتمة ، فمنهم في الجنة ، ومنهم في السَّعِير في دركاتٍ مختلفة .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [٢٣] وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [٢٤] إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [السجدة : ٢٣ - ٢٥] .

فذكر أن الله يفصل بينهم ، وقد قيل : إن الفصل إنما هو بين الأنبياء

وَأَمِّهِمْ^(١) ، وقيل : بين المؤمنين والمشركين^(٢) .

والفصل بين هؤلاء أشد في الحكم والخاتمة .

وقال تعالى : ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ ﴾

[الممتحنة : ٣] .

ذلك أن هذا الفصل إنما هو بين المؤمنين وأعداء الله ، قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَشْقَوْكُمْ بِكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ ﴾ [الممتحنة : ١-٣] . فناسب ذكر الفصل ، وناسب كلُّ تعبير موضعه .

١٠٤ - قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وقال في سورة النور : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٠] .

سؤال : لماذا أُكِّد خبر (إن) في آية البقرة باللام ، فقال : (لرؤوف) ، ولم يؤكد باللام في قوله : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ؟

الجواب : من أكثر من جهة ، فإنه لا يصح التوكيد باللام في آية

(١) انظر : روح المعاني (٢١ / ١٣٨) .

(٢) انظر : روح المعاني (٢١ / ١٣٩) .

النور ؛ لأنه خبرٌ لـ (أن) المفتوحة الهمزة ، ولا يصح اقتران لامِ الابتداء بخبرها . . هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى أن المذكورين في آية البقرة كانوا في عبادة وطاعة . قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنَّكَ اللَّهُ بِالنَّكَاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

فذكر أن الله لا يضيع صلاتهم التي كانوا يصلونها قبل تحويل القبلة .

وأما السياق في آية النور ، فإنه في الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩ - ٢٠] .

ولا شك أن الأولين أولى بالرافة والرحمة ، فناسب التوكيد .

١٠٥ - قال تعالى في سورة البقرة في الآية الثامنة والخمسين بعد المئة : ﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

وقال في سورة البقرة أيضاً : ﴿ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ﴾ [البقرة : ١٨٤] .

سؤال : لماذا قال في الآية الأولى : ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ بالواو ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ بالفاء ؟

الجواب : إن الآية الأولى في طاعة أخرى ؛ من حج ، أو عمرة ، أو طواف ، أي : فمن أتى بنفلٍ آخر من نحو هذا الخير ، فإن الله شاكرٌ عليمٌ .

أما الآية الأخرى ، فإن التطوع والزيادة في نفس الفدية بأن يزيد على القدر المذكور ، من حيث عدد الذين يطعمهم ، فيجعله أكثر من مسكين ، أو يزيد على القدر المذكور .

جاء في (روح المعاني) : « فمن تطوع خيراً بأن زاد على القدر المذكور في الفدية ، أو زاد على عدد من يلزمه إطعامه ، فيطعم مسكينين فصاعداً ، أو جمع بين الإطعام والصَّوم »^(١) .

فإن هذه الآية في أمرٍ واحدٍ ، فيجعل التطوع قسماً من الفدية .
أما الآية الأولى ، فإنها في طاعةٍ منفصلةٍ .

١٠٦ - قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وقال في سورة النساء : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١٣٦] .

سؤال : قدّم الإيمان باليوم الآخر في سورة البقرة على الملائكة والكتاب والنبين . وآخر اليوم الآخر في آية النساء ، فلماذا ؟

الجواب : إِنَّ السِّيَاقَ قَبْلَ آيَةِ الْبَقَرَةِ فِي ذِكْرِ الْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَمَا أَعَدَّ فِيهِ لِمَنْ عَصَاهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٧٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ (١٧٧) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿ لَيْسَ إِلَهٌ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ ... ﴾ [البقرة : ١٧٤ - ١٧٧] .

فذكر الكتاب بعد يوم القيامة ، فقال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ بعد ذكر ما أعدّه الله لمن عصاه يوم القيامة . وهو نظير ما ورد في الآية المذكورة ﴿ لَيْسَ إِلَهٌ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ ... ﴾ من تقديم الإيمان باليوم الآخر على الإيمان بالكتاب .

وأما في آية النساء ، فليس السِّيَاق في اليوم الآخر ، فجعله آخرًا ، فإنه قال في الآية المئة والخمسين (١٥٠) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ... ﴾ .

وقال في الآية (١٥٢) : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ . فلم يذكر اليوم الآخر فأخره .

فقدّم اليوم الآخر في البقرة مناسبة للسِّيَاق ، وأخره في النساء ؛ للسبب نفسه .

١٠٧ - قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَفْتُمُوهُمْ وَآخَرُجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْبِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَتِّلُوكُمْ فِيهِ ﴾

فَإِنْ قَتَلْتُمْهُمْ فَقَاتِلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٦﴾ فَإِنْ أَنَّهُوَا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُوَا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٦٨﴾ [البقرة : ١٩١ - ١٩٣] .

وقال في سورة الأنفال : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوْا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٣٨﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِذَا أَنتَهُوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نَعَمْ الْمَوْلَى وَنَعَمْ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ [الأنفال : ٣٨ - ٤٠] .

سؤال : لماذا قال في البقرة : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ؟

وقال في الأنفال : ﴿ فَإِذَا أَنتَهُوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ؟

الجواب : آيات البقرة هي في قريش ، يدل على ذلك قوله : ﴿ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ ﴾ .

أما آيات الأنفال فهي عامة ، ولذا قال في الأنفال : ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ بذكر الكل الدال على العموم .

في حين قال في البقرة : ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ من دون ذكر ما يدل على العموم ^(١) .

ولم يقل في سياق آيات البقرة : (وإن تولَّوْا فاعلموا أن الله مولاكم) فلم يضع احتمال التَّوَلَّى في قريش ، وإنما هو إلماح إلى أنهم

(١) انظر : ملاك التأويل (١ / ١١٦) وما بعدها .

سُيَسْلَمُونَ ، وإنما وضع هذا الاحتمال للأمم الأخرى ، أو الأماكن الأخرى التي تحتل هذا الافتراض .

كما لم يقل في آية البقرة : (وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) للسبب نفسه . وإنما قال في سياق آية البقرة : ﴿ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، وقال في غيرهم : ﴿ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ، وهو تحسب لما قد يقع منهم ، والله أعلم .

١٠٨ - قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِنْ تَمَنَعَ بِالْعَمَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ مَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

سؤال : لماذا ذكر أن العشرة كاملة ، مع أنه معلوم أن الثلاثة والسبعة عشرة ؟

الجواب : قيل في ذلك أوجه منها :

أنه جاء بـ (كاملة) لثلاً يتوهم أن الواو بمعنى (أو) التخيرية ، فيختار أحد الأمرين .

والواو قد تأتي للإباحة ، في نحو قولك : (جالس الحسن وابن سيرين) ، وقولهم : (الكلمة اسم ، وفعل ، وحرف) أي : اسم ، أو فعل ، أو حرف .

وقيل : هي صفة مؤكدة ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا إِلَهِينِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ [النحل : ٥١] .

والتوكيد غير عزيز في اللغة ، وذلك نحو أن تقول : (كتبت بيدي) ، و (رأيت بعيني) ، و (سمعت بأذني) وقوله : ﴿ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

وهو يفيد تقريرَ الحكم وتوكيده ، وقوله : (كاملة) للإفادة ألا ينقص من الأيّام شيئاً ، وللدلالة على أنه كمالٌ لصائمه ، وأنها مجزئة عن الهدى^(١) .

أو أن المعنى : تلك عشرة كمل الحج بها ، والله أعلم .

١٠٩ - سؤال : قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[البقرة : ٢١٢] .

وقال نحو هذا في أكثر من موضع ، فما معنى هذا ؟

الجواب : إن لهذا التعبير أكثر من دلالة كلها صحيحة ، من ذلك :

١ - أنه لا يُسأل عما يفعل ، ولا يحاسبه أحد .

٢ - وأنه يرزق من غير تقتير ، وبلا نهاية لما يعطيه^(٢) . فهو

لا يخشى أن تنفذ خزائنه ، كما يفعل المخلوقون ، فإنهم يحسبون حساباً لما عندهم .

٣ - وأنه لا يحاسب المرزوق ، فيرزقه على قدر طاعته أو

معصيته^(٣) ، وإنما يُمدُّ من يشاء من هؤلاء وهؤلاء على ما تقتضيه

حكيمته ، كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا نُمَدِّدْهُمْ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٠] .

٤ - أنه يعني أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه^(٤) ،

ولا يفعل ذلك من غير حكمة .

(١) انظر : تفسير الرازي (٢ / ٣١٠) ، روح المعاني (٢ / ٨٣ - ٨٤) .

(٢) انظر : روح المعاني (٢ / ١٠٠) .

(٣) انظر : البحر المحيط (٢ / ١٣١) .

(٤) انظر : الكشف (١ / ٢٦٩) .

٥ - هو يرزق من يشاء من غير حسابٍ من العبد ، فقد يرزق العبد ، وهو لا يعلم ، ولا يحسب لذلك حساباً ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢-٣] .

١١٠ - سؤال : لماذا قال الله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَأَزْوَاجِهِمْ مَتْلَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة : ٢٤٠] .
وقال : ﴿ وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

فاستعمل الحول ، ولم يستعمل العام أو السنة ، كما قال الله سبحانه : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُ الْفِطْرِ عَامَيْنِ ﴾ [لقمان : ١٤] .

الجواب : أما السنة والعام والحجة فقد ذكرناها في كتابنا (من أسرار البيان القرآني - باب المفردات) .

وأما استعمال الحول ههنا ، فله مناسبتة ، ذلك أن معنى (الحول) السنة « اعتباراً بانقلابها ، ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها » ^(١) .

ومن معاني (الحول) في اللغة التحوُّل والتغيُّر ، يقال : (حال) أي « تحول من موضع إلى موضع ، وحال فلان عن العهد ؛ أي : زال » ^(٢) .

ومن معاني (الحول) الحجز والمنع ، يقال : « حال الشيء بين

(١) تاج العروس (الحول) .

(٢) لسان العرب (حول) .

الشيئين يحول حولاً وتحويلاً ؛ أي : حجز ^(١) .

قال تعالى : ﴿ وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود : ٤٣] .

وقال : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

ولم يستعمل القرآن (الحول) إلا في حالتي الوفاة أو الطلاق ، وكلاهما تحوّل وحاجز .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوقُونَ مِنْكُمْ... ﴾ [البقرة : ٢٤٠] .

وقال : ﴿ وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

فقد ذكر بعضهم أن هذه الآية خاصة بالمطلقات ، يدل على ذلك أمران :

الأمر الأول : أن الآية ذكرت عقيب آيات الطلاق ، فكانت من تتمتها .

والأمر الآخر : أن إيجاب الرزق والكسوة فيما بعد للمرضعات يقتضي التخصيص ؛ إذ لو كانت الزوجة باقية لوجب على الزوج ذلك بسبب الزوجية ، لا الإرضاع ^(٢) .

والوفاة تحوّل وتغيّر ، والوفاة حاجز بين الزوجين ، فناسب استعمال الحول ، والطلاق تحوّل وتغيّر وهو حاجز بين الزوجين ، فناسب استعمال الحول أيضاً .

(١) المصدر السابق نفسه (حول) .

(٢) انظر : روح المعاني (٢ / ١٤٥ - ١٤٦) ، وانظر : فتح القدير (١ / ٢١٨) .

وذلك من لطيف التَّنَاسُبِ ودَقَّتِهِ .

١١١ - قال تعالى في سورة البقرة : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَظْمِنَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

سؤال : لماذا قال : ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ بالفاء ، ثم قال : ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ فجاء بـ (ثم) ، ولم يأتِ بالفاء ؟

الجواب : الفاء تدلُّ على التَّرتيب والتَّعقيب ، و (ثم) تدل على التَّرتيب والتَّراخي ، كما هو معلوم . فجاء بـ (ثم) لثلاً يفهم أنه إذا طالتِ المدة لم يكن الأمرُ على ما ذكر ، وليجعل لإبراهيم سعةً في الانتقال والحركة والتَّصرف . ولو جاء بالفاء لم يكن الوقت بهذه السَّعة .

ولا شك أن إحياءها بعد الذَّبْح بمدة طويلة أدلُّ على القدرة من الإسراع في ذلك ؛ لاحتمالِ تغيُّر اللَّحْم والأجهزة وفسادها ، وذلك أبعد عن الحياة .

فجاء بـ (ثم) ؛ ليدلَّ على أنَّ ذلك لا يخرج عن قدرة الله ، ضاق الوقت أو اتسع .

١١٢ - قال الله سبحانه في سورة البقرة : ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وقال في الآية نفسها : ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ .

سؤال : لماذا قال أولاً : ﴿وَأَشْهَدُوا﴾ ، وقال فيما بعد : ﴿وَأَشْهَدُوا﴾ ؟

الجواب : إن (استشهد) أبلغ من (أشهد) ، فإن (استشهد) قد يفيد الطلب ؛ أي : طلب الإشهاد كاستنجد بمعنى طلب النجدة ، واستنصر بمعنى طلب النصرة .

وقد يكون للمبالغة ، كاستيأس ؛ أي المبالغة في اليأس ، واستقر بمعنى المبالغة في الاستقرار .

وكلا المعنيين أبلغ من (أشهد) .

هذا ، وإن المقام مع (استشهدوا) أبلغ من (أشهدوا) ؛ ذلك أنه قال سبحانه : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْأَلُكُمْ شُهَدَاءَ شَهِيدِينَ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَزَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ... وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ...﴾ [البقرة : ٢٨٢] . فقد ذكر الاستشهاد مع الدين ، وذلك لحفظ حقوق الدائن ، ثم ذكر أنَّ الكاتب ينبغي أن يكتب بالعدل . ثم أمر الذي عليه الحق أن يتقي الله ربّه ، ولا يبخس من الحق شيئاً ، ثم ذكر أنه إذا كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يملّ هو ، فليملّ وليه بالعدل .

ثم قال : ﴿وَأَسْأَلُكُمْ شَهِيدِينَ﴾ ، وقال : ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ ، ولم يقل :

(رجلين) ؛ لأن الشهيد هو المبالغ في الشهادة ، العالم بموقعها ،
المقتدر على أدائها .

في حين قال : ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ فمقام حفظ الحقوق مع
الاستشهاد أبلغ ، والاحتياط أكبر ، فناسب ذكر الاستشهاد ، وناسب
ذلك ذكر الشهيد ، وهو المبالغ في الشهادة . فناسب المبالغة في
الاستشهاد المبالغة في الشهيد ، فناسب كل موضعه .

جاء في (روح المعاني) : « ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ أي : اطلبوهما
ليتحملاً الشهادة على ما جرى بينكما » (١) .

وجوز أن تكون السنين والتاء للمبالغة « إيماء إلى طلب من تكررت
منه الشهادة ، فهو عالم بموقعها ، مقتدر على أدائها ، وكأن فيها رمزاً إلى
العدالة ؛ لأنه لا يتكرر ذلك الشخص عند الحكام ، إلا وهو مقبول
عندهم ، ولعلّه لم يقل : رجلين ؛ لذلك » (٢) .

وجاء في (البحر المحيط) : « ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ
رَجَالِكُمْ﴾ ، أي : اطلبوا للإشهاد شهيدين ، فيكون (استفعل)
للطلب ، ويحتمل أن يكون موافقة (أفعل) أي : أشهدوا ، نحو استيقن
موافق أيقن . . .

ولفظ (شاهد) للمبالغة ، وكأنهم أمروا بأن يستشهدوا من كثرت منه
الشهادة ، فهو عالم بمواقع الشهادة وما يشهد فيه ؛ لتكرّر ذلك منه .

(١) روح المعاني (٣ / ٥٧) .

(٢) المصدر السابق نفسه (٣ / ٥٧) .

فأمرُوا بطلبِ الأكملِ ، وكان في ذلك إشارةً إلى العدالةِ » (١) .

١١٣ - قال تعالى في آلِ عمرانَ : ﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [آل عمران : ١١] .

وقال في الأنفالِ : ﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٥٢] .

سؤال : لماذا أُكِّد وزادَ في خاتمةِ آيةِ الأنفالِ على ما ذكره في آيةِ آلِ عمرانَ ، فقال في آيةِ آلِ عمرانَ : ﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وقال في آيةِ الأنفالِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ، فأُكِّدَ (إِنَّ) وذكرَ وصفه بالقويِّ ، وهو ما لم يذكره في آيةِ آلِ عمرانَ ؟

الجواب : قال ربُّنا في آيةِ آلِ عمرانَ : ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ . وقال في آيةِ الأنفالِ : ﴿ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ . والكفرُ أعمُّ من التَّكْذِيبِ ، فإنَّ التَّكْذِيبَ حالةٌ من حالاتِ الكفرِ ، فلما ذَكَرَ الكفرَ ذَكَرَ من العقوبةِ ما هو أشدُّ وأكدُّ ، فقال في آلِ عمرانَ : ﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ، وقال في الأنفالِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

ثمَّ إِنَّ السِّيَاقَ في الأنفالِ أشدُّ في ذكرِ العقوباتِ ، فقد قال قبلَ آيةِ آلِ عمرانَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ .

وقال قبلَ آيةِ الأنفالِ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ .

فذكر عقوبتهم في النَّزْعِ وما بعد ذلك ، ولم يذكر ذلك في آل عمران .

وقال بعدها : ﴿ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاثِرٍ مَلِيعٍ ۖ ﴾ .

فذكر التكذيب كما في آل عمران فذكر الكفر والتكذيب .

فكان السياق في الأنفال أشدَّ ، فلما زاد الكفر على التكذيب في السياق ، ناسب ذلك التأكيد .

ثم إنه قبل آية الأنفال ذكر نصر المسلمين في بدرٍ على قتلهم ، (الآيات : ٤١ - ٤٩) ، والتَّصَرُّعُ محتاجٌ إلى القوة فناسب ذكر القوة مع العقاب ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ ﴾ .

بخلاف السياق في آية آل عمران ، فإنه قبل هذه الآيات وبعدها في أمورٍ أخرى .

فقد قال قبلها : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ ﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ۖ ﴾ .

وقال بعدها : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ... ﴾ .

فناسب ذكر القوة والعقوبات الشديدة وتوكيدها سياق آيات الأنفال . وناسب ما ذكر في آية آل عمران السياق الذي وردت فيه . والله أعلم .

١١٤ - قال تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ [آل عمران : ١٤] .

سؤال : إن الآية ذكرت الرجال ولم تذكر النساء ، فقد جاء فيها : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ، ولم تذكر حبَّ الشهوات للرجال من النساء ، فلم ذلك ؟

الجواب : من أوجه :

الأول : أن ربنا قال : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ ، ولم يقل : (زين للرجال) ، والناس يدخل فيهم الرجال والنساء .

الثاني : أنه عندما ذكر البنين ألمح إلى رغبة النساء في ذلك ، فإنهن يرغبن في البنين ، كما يرغب الرجال ، ويحملنهم في أحشائهن ، ولكنه لم يشأ أن يخدش حياءهن ، فيذكر حبهن للرجال .

ثم إن الرجال قد يجهرون بذلك ، ويسعون في هذا الأمر ، وينفقون الأموال في ذلك ، فصرح بذكرهم ، وألمح في هذا المعنى إلى النساء ، ولا يحسن أن يقال فيهن كما يقال في الرجال .

الثالث : أنه ذكر القناطر المقنطرة من الذهب والفضة ، والنساء لا يختلفن عن الرجال في حبهن لذلك ، بل ربما يفقنهن فيه .

فشملت الآية عموم الناس .

١١٥ - سؤال : قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ [آل عمران : ٤١] .

وقال في سورة الأحزاب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾

وَسَيَحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤١﴾ [الأحزاب : ٤١ - ٤٢] ، فقدّم الذكر على التسبيح .

وقال في سورة طه على لسان سيّدنا موسى عليه السلام : ﴿ وَأَشْرِكُ فِي أَمْرِي ﴾ ﴿٢٦﴾ كَيْ سَحِكَ كَثِيرًا ﴿٢٧﴾ وَتَذَكَّرُ كَثِيرًا ﴿٢٨﴾ بتقديم التسبيح على الذكر ، فلم ذاك ؟

الجواب : الذكر أعمّ من التسبيح ، والتسبيح أخصّ من الذكر ، فلما ذكر وقتين في التسبيح في آل عمران : ﴿ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ ، وكذلك في الأحزاب : ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ جاء بالأخصّ ، وهو التسبيح .

وقيل : إن المراد بالتسبيح هنا الصلاة ، بدليل تقييده بالوقت ^(١) .

ولما أطلق جاء بالأعمّ ، وهو الذكر ، فلم يقيده بوقت وقّده ، فقدّم ما هو أعم ؛ لأنه لا يختصّ بوقت دون وقت .

أما تقديم التسبيح في (طه) ، فلأنّ موسى في حالة خوف من فرعون ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ [طه : ٤٥] .

والتسبيح ينجي من الغمّ والكرب ، كما قال سبحانه عن نبيه يونس : ﴿ فَلَوْلَا أَنْتُمْ كَانُوا مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ ﴿١٢٦﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢٧﴾ [الصافات : ١٤٣ - ١٤٤] .

وقال فيه أيضاً : ﴿ فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُمْ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء : ٨٧ - ٨٨] .

وقال لنبئيه وخاتم رسله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (٩٧)
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿ [الحجر : ٩٧ - ٩٨] فقدّم التّسبيح لذلك .

ولعلّ لذلك سبباً لطيفاً آخر ، وهو أن التّسبيح معناه : التّزنيه ،
فقدّمه ؛ لينزّه الله عما لا يليق ، مما كان عليه فرعون وقومه من الشّرك
والكفر ، ووصفه سبحانه بما لا يليق ، وإنكار أن يكون ثمة إله غير
فرعون ، والله أعلم .

١١٦ - قال تعالى في آل عمران : ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّم
لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١٥٧) وَلَئِنْ مُتُّم أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ
تُحْشَرُونَ ﴿ [آل عمران : ١٥٧ - ١٥٨] .

وقال في سورة (المؤمنون) : ﴿ أَعِدُّوا أَنْكُمْ إِذَا مِتُّم وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَماً
أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣٥] .

سؤال : لماذا قال في آيتي آل عمران : (مُتُّم) بضمّ الميم .

وقال في سورة (المؤمنون) : (مُتُّم) بكسر الميم ؟

الجواب : لا إشكال من النّاحية اللّغويّة في ذلك . فإن (مات) فيها
لغتان : (مات يمات موتاً) مثل : (خاف يخاف خوفاً) و (نام ينام
نوماً) .

واللّغة الأخرى (مات يموت) مثل (قال يقول) . فعلى لغة (مات
يمات) يقال : (مِتُّ وَمِتْنَا) بكسر الميم مثل : (خِفْتُ وَخِفْنَا) .

وعلى لغة (مات يموت) يقال : (مُتُّ وَمُتْنَا) بضمّ الميم .
والوجهان جائزان .

أما من النَّاحِيَةِ الْبَيَانِيَّةِ ، فمن المعلوم أن الضَّمَّة أثقل من الكسرة ، وحالة الموت المذكورة في آل عمران أثقل وأشدُّ ممَّا في (المؤمنون) ، وإن السِّيَاق أصعب وأشقُّ ، فإن الكلام على ما حصل لهم في أحدٍ ، وما أصابهم من قتل (الآيات : ١٥٢ - ١٥٥) .

ثم ذكر الموت في الغزوات ، أو الضرب في الأرض ، وذلك يعني : الموت في الغربية ، فقال : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٥٦] .

ثم قال : ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ... ﴾ الآية ، يعني : الموت في سبيلِ الله ؛ أي : في الجهاد .

وليس السِّيَاق كذلك في سورة (المؤمنون) ، وإنما هو في الحوار بين رسولٍ من رسلِ الله وكفارٍ قومه ، فقد قالوا فيه : ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ (٣٦) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرْتُمْ (٣٦) أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣٣ - ٣٦] .

ولا شك أن الموت في الغزوات أو في الغربية أثقل وأشدُّ من الموت على الفراش . فجاء فيما هو أثقل وأشدُّ بما هو أثقل ، وهو الضَّمَّة ، ولما هو أخفُّ بما هو أخفُّ ، وهو الكسرة .

ويدلُّك على ذلك أنه حيث قال : ﴿ أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا ﴾ ونحوها ، جاء بالكسرة نظير قوله : ﴿ أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا ﴾ .

١١٧ - قال تعالى في سورة النساء : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء : ١] .

وقال في الأعراف : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف : ١٨٩] .

وقال في الزمر : ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر : ٦] .

سؤال : لماذا قال في آية النساء : ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ؟

وقال في آيتي الأعراف والزمر : ﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ .

الجواب : الجعل حالة بعد الخلق في الغالب ، تقول : (جعل الزرع حطاماً) أي : بعد خلقه وتكوينه ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَزَنَبُهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً﴾ [الزمر : ٢١] .

ولا يقال : (خلقه حطاماً) فإن ذلك يعني ابتداءً .

وتقول : (جعل الماء عذباً بعد أن كان أجاباً) .

وقال ربنا في بني إسرائيل : ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْحَنَازِيرَ﴾ [المائدة : ٦٠] .

ولا يصح : (خلق منهم) . فالخلق أول ، والجعل بعده في الغالب .

وآية النساء في آدم وحواء ، قال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [النساء : ١] .

وأما آيتا الأعراف والزمر فهما فيما بعد ذلك من بني آدم ، قال

تعالى في الأعراف : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَبْلاً لَنُكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَبْلاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٩ - ١٩٠] .

فأنت ترى أنها ليست في آدم وحواء ، بدليل قوله فيها : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَبْلاً لَنُكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَبْلاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

فإنه لا يصح أن يقال في آدم وحواء : (فلما آتاها صالِحاً جعل له شركاء فيما آتاها ...) .

وكذلك آية الزمر ، فإنها ليست في آدم وحواء ، بل فيما بعد ذلك من بني آدم ، فقد قال تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أزْوَاجٌ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمٍ ثَلَاثٍ ﴾ [الزمر : ٦] فهذا في عموم الأزواج .

فالجعل هنا ليس في الإخبار عن أصل الإيجاد ، بل المقصود أنه جعل الأنثى زوجاً للذكر . فأية النساء في أصل الخلق ، بخلاف الآيتين الأخريين .

١١٨ - قال تعالى في سورة النساء : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾ [النساء : ٤٨] .

وقال في سورة النساء أيضاً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾ [النساء : ١١٦] .

سؤال : لماذا ختم الآية الثامنة والأربعين بقوله : ﴿ فَقَدْ أَفْرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ ، وختم الآية الأخرى بقوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ ؟

الجواب : إنَّ الآية الثامنة والأربعين في الكلام على أهل الكتاب ، وفي سياق ارتكاب الآثام . وأهل الكتاب مطَّلعون على ما أنزله الله من التَّوْحِيد ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً على الله .

ثم إنَّ السِّياق فيها في ارتكاب الآثام ، فقد جاء قبل الآية الكلام على أهل الكتاب ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضَلُّوا السَّبِيلَ ۖ ﴾ ... مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الَّذِينَ ... يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْعِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِء... أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِء إِثْمًا مُّبِينًا ۖ ﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ... ﴿ [النساء : ٤٤ - ٥١] .

فقد ذكر أنهم يشترون الضلالة ، وأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون : سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع ، وراعنا لئلاَّ بالسنتهم وطعننا في الدين . وقال : إنهم يفترون على الله الكذب ، وكفى به إثماً مبيناً . وقال : إنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ، وغير ذلك . وهذه كلها آثام ، فناسب ذلك فاصلة الآية .

وأما الآية الأخرى ففي أناسٍ لم يعلموا كتاباً ولا عرفوا وحياً ،

وهي في سياق الضلال ، فقد قال قبل الآية : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ [النساء : ١١٥] .

ونقيض الهدى الضلال ، فالذي يشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى إنما هو ضال .

وقال بعد ذلك على لسان الشيطان : ﴿ وَلَا ضَلَّ عَنْهُمْ وَلَا مَيَّيْنَهُمْ... ﴾ [النساء : ١١٩] .

فناسب المقام قوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ .

جاء في (روح المعاني) : « وإنما جعل الجزاء على ما قيل هنا : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ... ﴾ وفيما تقدم : ﴿ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ لما أن تلك كانت في أهل الكتاب ، وهم مطلعون من كتبهم على ما لا يشكّون في صحته من أمر الرسول ﷺ ، ووجوب اتباع شريعته ، وما يدعو إليه من الإيمان بالله تعالى ، ومع ذلك أشركوا وكفروا ، فصار ذلك افتراء واختلاقاً وجراءة عظيمة على الله تعالى .

وهذه الآية كانت في أناس لم يعلموا كتاباً ، ولا عرفوا من قبل وحيًا ، ولم يأتهم سوى رسول الله ﷺ بالهدى ودين الحق فأشركوا بالله عز وجل ، وكفروا وضلّوا مع وضوح الحجة ، وسطوع البرهان ، فكان ضلالهم بعيداً ولذلك جاء بعد تلك : ﴿ أَلَمْ يَر إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ .

وجاء بعد هذه الآية : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنشَاءً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ [النساء : ١١٧] « (١) .

١١٩ - قال تعالى في سورة النساء : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء : ١٧١] .

وقال في سورة المائدة : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة : ٧٧] .

سؤال : لماذا قال في آية النساء (إلا الحق) ، وقال في المائدة (غير الحق) ؟

الجواب : لا يصح أن يقال : (لا تغلوا في دينكم إلا الحق) ؛ لأنَّ المعنى سيكون أن من الغلو حقاً ، والغلو في الدين لا يكون حقاً بحالٍ من الأحوال ، بخلاف آية النساء ، فإن القول على الله قد يكون حقاً ، وقد يكون باطلاً ، فصَحَّ ذلك .

والكلام في آية النساء استثناءً مفرَّغٌ .

وأما قوله : (غير الحق) في آية المائدة ، فليس من الاستثناء ، وهو إما صفةٌ مؤكَّدة لمصدرٍ محذوفٍ ، أي : (غلوا غير الحق) ؛ لأن الغلو لا يكون إلا غير الحق .

ويجوز أن تكون (غير) حالاً ؛ أي مجاوزين الحدَّ . وجوز بعضهم أن يكون مستثنى^(١) ، ولا يكون ذلك إلا بتأويلٍ بعيدٍ .

١٢٠ - قال تعالى في سورة المائدة : ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة : ١] .

(١) انظر : روح المعاني (٦ / ٢١٠) .

وقال في سورة الحجّ : ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الحج : ٣٠] .

سؤال : لماذا قال في المائدة : (بهيمة الأنعام) بذكر البهيمة ، وقال في (الحجّ) : (الأنعام) من دون ذكر البهيمة ؟

الجواب : البهيمة اسم لكلّ ذي أربع من دواب البر والبحر^(١) . وإضافتها إلى الأنعام للبيان ، وهي من إضافة العام إلى الخاص ، كيوم الخميس ، وعلم الفقه ، وشجر الأراك ، ومدينة بغداد^(٢) . فالبهيمة عام ، وقد خصّصت ، وبَيَّنَّتْ بإضافتها إلى الأنعام .

لقد وردت (بهيمة الأنعام) في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم ، وكلها في سياق المناسك والإحرام والحجّ .

قال تعالى في سورة المائدة : ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْآَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا سَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة : ١ - ٢] .

ووردت في سورة الحجّ في سياق الحجّ ، قال تعالى : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ ﴿٢٧﴾ لِّشَهِدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْآَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ...﴾ [الحج : ٢٧ - ٢٨] .

(١) انظر : لسان العرب (بهم) ، روح المعاني (٦ / ٤٩) .

(٢) انظر : روح المعاني (٦ / ٤٩) .

وقال في السياق نفسه : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ [الحج : ٣٤] .

أما (الأنعام) فقد ذكرت في سياقات متعددة مختلفة ، كالأكل ، وشرب ألبانها ، والحمل عليها ، والانتفاع بجلودها ، والتشبيه بها ، وغير ذلك .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ﴾ [يونس : ٢٤] .

وقال : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ [آل عمران : ١٤] .

وقال على لسان الشيطان : ﴿ وَلَا مَتَابِعَهُمْ وَلَا مَرْثَهُمْ فَلَيُبَيِّتَكُمْ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ ﴾ [النساء : ١١٩] .

وقال : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] .

وقال : ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَفْئِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ [الزخرف : ١٢] .

وقال : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل : ٥] .

وقال : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَتُعِيَكُمْ بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ [النحل : ٦٦] . وغير ذلك وغيره .

فلما كانت الإضافة للتخصيص في قوله : (بهيمة الأنعام) أي : من إضافة العام إلى الخاص ، استعملها فيما هو أخص ، وهو المناسك والحج .

فخصَّصَ بالإضافة في مقام التَّخصيصِ والتَّبيينِ ، وعمَّ في مقام العموم .

١٢١ - قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ [المائدة : ٣] .

سؤال : لماذا قال في الدِّينِ (أكملتُ) ، وفي النِّعمةِ (أتممتُ) وما الفرقُ بينهما ؟

الجواب : التَّمامُ ضدُّ النَّقصِ ، وهو لا يقتضي الكمالَ ، فالإنسان التَّامُ الخلقة هو الذي ليس فيه نقصٌ .

فالإنسانُ إذا ولد تاماً ، فليس معناه أنه بلغ الكمال في ذلك . فكل شخصٍ له عيانٌ يبصر بهما ، ورجلان يمشي بهما ، وأنفٌ وما إلى ذلك ، هو تامُّ الخلقة ، كيفما كانت العيانان ، صغيرتين أو واسعيتين ، وكيفما كان أنفه أو فمه أو أسنانه .

أما الكمالُ فهو الحالة المثلى ؛ فالكمال أعلى من مجرد التَّمام .

« وقيل : ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ أي : أكملت لكم فوق ما تحتاجون إليه في دينكم » ^(١) .

فتمامُ النِّعمةِ إعطاؤه ما يحتاج إليه ، ويمكن الزيادة فيها فوق ما يحتاج إليه .

وأما الكمالُ فلا زيادةَ عليه ، ولذا قال : ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ؛ لأنه

لا يمكن أن يزداد في الدين ، فقد أنزل كل ما يحتاج إليه من أصل وفرع .
إنه يمكن الزيادة في النعمة ، ولا تمكن الزيادة في الدين .

ولم يستعمل القرآن مع النعمة إلا الإتمام ، ولم يستعمل الكمال أو الإكمال . قال تعالى : ﴿ وَلَأْتِيَنَّكُمْ نِعْمَةٌ مِّنَ رَبِّكُمْ وَلَئِن لَّمْ يُجِزِ بِالنَّاسِ أَجَلُهُمْ أَتَدْرِكُونَهَا ؟ ﴾ [البقرة : ١٥٠] ، وقال : ﴿ وَيَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبْنَائِكَ مِن قَبْلُ إِنَّهُمْ وَاسِقُونَ ﴾ [يوسف : ٦] ، وقال : ﴿ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [النحل : ٨١] .

وقيل : كمال الدين كمال سلطانه وتمكينه وحفظه .

وإتمام النعمة زوال ما كانوا يلقونه من الخوف ، وهو من إتمام النعمة ، وما ذكرناه أولى وأظهر .

١٢٢ - قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [المائدة : ٣٢] .

وقال في سورة الأعراف : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [الأعراف : ١٠١] .

سؤال : لماذا قال في آية المائدة : ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا ﴾ بإضافة الرسل إلى ضميره سبحانه ، وقال في آية الأعراف : ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم ﴾ بإضافة الرسل إليهم ؟

الجواب : آية المائدة فيما شرع الله ، والأحكام التي جاءت بها الرسل من عنده ، فأضافهم إليه . قال تعالى : ﴿ مِن أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا

بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

[المائدة : ٣٢] .

وذكر بعد ذلك أحكاماً شرعها الله ، جاءت بها رسله ، فقال :
﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٣ - ٣٤] .

فشرع الحكم في الدنيا ، وقرّر الحكم في الآخرة ، وأعلمهم بمن
تاب .

أما في الأعراف ، فالكلام على أهل القرى ، وموقفهم من رسلهم ،
مع أنهم جاؤوهم بما ينفعهم . ولقد ذكر ما فيه خيرهم لو أطاعوهم ،
وما سيصيبهم لو خالفوهم .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ يَقَابِلُونَ ﴿١٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿١٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٦ - ٩٩] .

ثم قال : ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ... ﴾ [الأعراف : ١٠١] .

فلما كان الكلام على أهل القرى ، أضاف الرُّسُلَ إليهم ، فقال :
﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ .

ولما كان الكلام على الله وشرعه أضاف الرُّسُلَ إليه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا ﴾ فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعه .

١٢٣ - قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ ٧ وقالوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ ٨ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَا يَلْبَسُونَ ﴾ [الأنعام : ٧ - ٩] .

سؤال : لماذا قال أولاً : (نزلنا عليك) ، وقال بعدها (أنزلنا) ؟

الجواب : (فَعَلَ) أهُمُّ وَاكَّدَ مِنْ (أَفْعَلَ) ، وذلك نحو (وَصَّى) و(أَوْصَى) ، وكرَّم وأكرم ^(١) .

وتنزيل القرطاس إما أن ينزل بنفسه ، حتَّى يصل إلى الرِّسُولِ ، وهو عجب ، أو يكون بإنزال ملك به إليه ، وهو أهُمُّ وأعجب من إنزال الملك وحده ؛ وذلك لأن إنزال القرطاس إنما هو إنزال قرطاسٍ وملكٍ .

ولذا قالوا فيه : ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ ، ولم يقولوا نحو ذلك في إنزال الملك .

ثم لو جعله ملكاً لجعله رجلاً فيلبس عليهم الأمر ، فقال : (نزلنا) في القرطاس ، و(أنزلنا) في الملك . فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعه .

١٢٤ - قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَلَقَدْ أَسْنَهَزَيْ رُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠] .

(١) انظر : (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني) - باب فَعَلَ وأفْعَلَ بمعنى (٦٣) وما بعدها .

سؤال : لماذا قال أولاً : ﴿ وَلَقَدْ أَسْهَزَيْتَ بِرُسُلٍ ﴾ بلفظ الاستهزاء ، ثم قال : ﴿ فَحَقَّ بِالَّذِينَ سَخَرُوا مِنْهُمْ ﴾ بلفظ السخرية ؟ وهل هناك فرق بين الاستهزاء والسخرية ؟

الجواب : الاستهزاء هو الاستخفاف والاستحقار والاستهانة والتنبية على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه ، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول والإشارة والإيماء^(١) .

وذكر في الفرق بين الاستهزاء والسخرية أن الإنسان يستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يستهزأ به من أجله .
والسخرية تدل على فعل يسبق من المسخور منه^(٢) .

قال تعالى في سيدنا نوح : ﴿ وَصَنَعَ الْفُلْكَ وَكَلَّمَ مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ [هود : ٣٨] .

وقال : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة : ٧٩] وهذا سخر على فعل .

ولم ترد السخرية في القرآن إلا من الأشخاص ، قال تعالى : ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ﴾ وقال : ﴿ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ وقال : ﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾ [الحجرات : ١١] .

وقال : ﴿ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البقرة : ٢١٢] .

(١) روح المعاني (١ / ١٥٨) .

(٢) انظر : الفروق اللغوية (٢٦٨) .

أما الهزؤ فعائمٌ من الأشخاص والأعمال وغيرِها . قال تعالى : ﴿ قُلْ أَلِلَّهِ وَعَآئِلِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [التوبة : ٦٥] وقال : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا ﴾ [المائدة : ٥٨] وقال : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴾ [الجاثية : ٩] .

فذكر الاستهزاء والسخرية ؛ ليشمل الجميع من الأفعال والأشخاص ، وما سبق منهم من فعلٍ ، وما لم يسبق .

١٢٥ - قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٧] .

وقال في سورة مريم : ﴿ يَتَأْتِ إِفٍّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [مريم : ٤٥] .

سؤال : لماذا قال في آية الأنعام : ﴿ عَذَابُ اللَّهِ ﴾ بإضافة العذاب إلى الله ، وقال في مريم : ﴿ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴾ فجعل العذاب من الرحمن ، ولم يذكر لفظ الجلالة ، فيقول (من الله) ؟

الجواب : التحذير في آية الأنعام أشدُّ من أوجه :

١ - فقد قال : (أرأيتم) فجاء بحرف الخطاب (كم) مع ضمير الخطاب ، وهذا يفيد التوكيد ، والزيادة في التنبيه . فإن (أرأيتم) أشدُّ من (أرأيتم)^(١) .

٢ - وقال في الأنعام : ﴿ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴾ ، وقال في مريم : ﴿ يَمَسَّكَ عَذَابٌ ﴾ ، والإتيان أشدُّ من مجرد المس الذي يكفي في حقيقته اتصالاً ما .

(١) انظر : معاني النحو (٢ / ١٦ وما بعدها) .

٣ - وقال في مريم : ﴿عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ فنكّر العذاب ، وجعله من الرَّحْمَنِ ؛ أي : المتّصف بالرحمة . في حين قال في الأنعام : ﴿عَذَابُ اللَّهِ﴾ فأضافه إلى الله .

٤ - وقال في الأنعام : ﴿بَفْتَةٍ أَوْ جَهْرَةً﴾ زيادةً في التحذير والتّهديد ، ولم يقل مثل ذلك في مريم .

٥ - وقال في الأنعام : ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ فجعل العذاب مهلكاً مستأصلاً لهم ، ولم يقل مثل ذلك في مريم ، فإنه لا تناسبُ الرحمةُ الإهلاك والاستئصال .

٦ - لم يرد في القرآن : (يمسك عذاب من الله) . كما لم يرد : (عذاب الرَّحْمَنِ) بإضافة العذاب إلى الرَّحْمَنِ . إنما ورد فيما ورد مضافاً إلى الله ، كقوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج : ٢] ، وقوله : ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [يوسف : ١٠٧] .

٧ - كما أنّه لم يرد في الأنعام اسم (الرَّحْمَنِ) ، وقد ورد فيها لفظُ (الله) زهاء سبع وثمانين مرةً . فناسب لفظُ (الله) السّمة التّعبيرية لسورة الأنعام .

كما ناسب لفظُ (الرَّحْمَنِ) السّمة التّعبيرية لسورة مريم ؛ التي تشيع فيها الرحمة من أولها إلى آخرها ، وتكرر فيها لفظ الرَّحْمَنِ ست عشرة مرةً ، ولا تدانيها سورة في إشاعة الرحمة ، فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعه ، من أكثر من وجهٍ .

١٢٦ - قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

وقال في سورة يوسف : ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٤] .

سؤال : لماذا قال في الأنعام (أجر) ، وقال في يوسف : (من أجر) ؟

ولماذا قال في الأنعام (ذكرى) ، وقال في يوسف : (ذكر) ؟

الجواب :

١ - (الذكر) أعظم من (الذكرى) ، فإن (الذكر) يكون بمعنى التذكير والموعظة ، ويكون بمعنى الحفظ للشيء ، ويكون بمعنى الشرف ، وله معانٍ أخرى ^(١) .

أما (الذكرى) فإنها بمعنى التذكير ، فهي بعض معاني الذكر . ولما كان الذكر أعظم ناسب ذلك قوله : (من أجر) بـ (من) الدالة على الاستغراق والعموم والتوكيد . وناسب الذكرى قوله : (أجر) الذي هو أقل عموماً وتوكيداً من قوله : (من أجر) .

٢ - إنَّ من معاني (الذكر) - كما ذكرنا - الحفظ للشيء ، وناسب ذلك ذكره بعد قصة يوسف ؛ الذي حفظه ربنا من كل كيد .

ومن معاني الشرف ، والصيت ، وناسب ذلك ذكره بعد قصة يوسف ؛ الذي أصبح له الشرف والصيت .

٣ - إن آية الأنعام واحدة في سياقها ، وهي قوله سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

(١) انظر : لسان العرب (ذكر) .

وبعدها أمر آخر ، وذلك قوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُم قُرْطُبِسَ... ﴾ [الأنعام : ٩١] وما قبلها في الرُّسُلِ الآخرين .

أما السِّيَاق في يوسف ، فهو سياق رسالة الإسلام ، وهو أكثر إفاضةً وتوسعا في سياقه .

قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَمَا تَنْتَهِهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَتَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٢ - ١٠٨] .

والتَّوَسُّع في السِّيَاق والإفاضة فيه يدلُّ على الاهتمام به وتوكيده فناسب ذلك إدخال (من) الاستغراقية ؛ للدلالة على الشُّمول والاستغراق ، وتوكيد ما دخلت عليه .

وإضافة إلى هذا ، إن قوله : ﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ أكثر عدداً في الحروف من قوله : (أجراً) فناسب السَّعة السَّعة والإيجازُ الإيجاز . فكانت المناسبة من أكثر من وجه .

٤ - قوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ يعني أنه تذكير لهم ، وأنه حفظٌ لهم من الضَّياع والانهلال والانحطاط والهلاك ، وأنه شرفٌ لهم ، فلا يحيون كحياة البهائم .

وهذه المهمة شاقة على الرسول ، وهي أشق من مجرد التذكير ،
فلربما ظنَّ ظانٌّ أن ذلك يستدعي طلب الأجر على هذه المهمة ، فنفي
ذلك على سبيل الاستغراق ، والتوكيد .

وليس السياق كذلك في الأنعام ، فإن الذكرى إنما هي جزء من الذكر
كما ذكرنا ، فناسب كلُّ تعبير موضعه .

١٢٧ - قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا
خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكَلْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ
زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۖ ﴾ [الأنعام : ٩٤] .

وقال في سورة الكهف : ﴿ وَغَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۖ ﴾ [الكهف : ٤٨] .

سؤال : لماذا قال في آية الأنعام : (فرادى) ، ولم يقل مثل ذلك
في الكهف ؟

ولماذا قال في آية الأنعام : ﴿ وَتَرْكَلْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ ﴾ ، ولم
يقُلْ مثل ذلك في الكهف ؟

الجواب : إن آية الأنعام إنما هي لما يحصل في الدنيا من موت
الأنفس ، فقد قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ
وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا
كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْكِبُونَ ۖ ﴾ [الأنعام : ٩٣] والناس
يموتون فرادى ، ويرجعون إلى ربهم .

أما آية الكهف فهي في الآخرة ، يوم يجمع الله الخلائق ، قال
تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ ﴾
وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَىٰ

الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِلُنَا مَالٌ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٧-٤٩﴾ [الكهف : ٤٧ - ٤٩] فلا يناسب أن يقال : (فرادى) فقد جاؤوا كلهم للحساب .

وكذلك قوله في الأنعام : ﴿ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتَكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ ، إنما ذلك في الدنيا ، فقد تركوا المال للورثة . ولم يقل مثل ذلك في الكهف ؛ لأنه لم يبق شيء مما كان في الأرض ، فإن الأرض تحمل وتنسف : ﴿ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الحاقة : ١٤] .

فلا يناسب ذلك ذكره فيها ، فناسب كلُّ تعبير مكانه ؛ الذي هو أليق به .

١٢٨ - قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُمُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٠] .

سؤال : لماذا قال : (وخرقوا) ولم يقل : (اختلفوا) ؟

الجواب : اختلف وخرق بمعنى ، لكن في (خرق) معنى الفساد والحمق إضافة إلى معنى الاختلاق ، وهو الكذب والافتراء ، فإن الخرق قطع الشيء على سبيل الفساد ، من غير تدبر ولا تفكير ، ورجل أخرق : لا يقدر ، ولا يحسن العمل ، والأخرق الجاهل والحمق ، والأخرق الجاهل^(١) .

وهو أنسب تعبير لمن قال بذلك ، ووصفه بذلك سبحانه وتعالى عما يصفون .

(١) انظر : تاج العروس (خرق) .

١٢٩ - قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ يَمْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الأنعام : ١٣٠] .

وقال في الزمر : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر : ٧١] .

سؤال : لماذا قال في آية الأنعام : ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ وقال في الزمر : ﴿ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ﴾ ؟

الجواب : ذكرنا هذا السؤال في الجزء الأول من كتاب (أسئلة بيانية) ، وقد أجبنا عنه ، وقد أثير الآن مرة أخرى ، وسنجيب عنه من جانب آخر ، غير ما ذكرناه في الجزء الأول ، فنقول :

إن القصة معناها الخبر ، وقصَّ عليه خبره ، أي : أوردته ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ﴾ [الفصل : ٢٥] .

ومعنى (تلا) قرأ ، وتلوت القرآن قرأته^(١) . فالتلاوة تكون لنص يُقرأ ، سواء كان من كتاب ، أم كان عن حفظ .

ومعنى (يقصون) يوردون عليكم الأخبار ، وهذه الأخبار قد تكون من كتب أو نصوص ، أو إخباراً من دون صحف . فقلوه :

(١) انظر : لسان العرب (تلو) .

(يقصون) أعمُّ ؛ لأنه يشمل كلَّ ما يخبر به ، سواء كان من صحفٍ ، أم من دونِ صحفٍ ، وسواء كان تلاوةً أم لا .

إن قوله : (يقصون) يشمل جميع الرُّسلِ من أنزلت عليهم الكتب ، ومن لم تنزل عليهم . وأما قوله : (يتلون) فهو أخصُّ ؛ لأنه يخصُّ من أنزلت عليه صحف فيتلوها .

فلمَّا ذكر معشر الجنِّ والإنسِ في الأنعام ، وهو أعمُّ جمع ، ناسب ذلك قوله : (يقصون) ؛ لأنه أعمُّ . وقد قال قبل هذه الآية : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأنعام : ١٢٨] أي : الإنسُ والجنُّ .

وقال بعد هذه الآية : ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣١] فذكر عمومَ القرى المهلكة ، مما يدلُّ على أنه يشمل جميع الرُّسلِ : من أنزلت عليه صحف أو كتب ، ومن لم تنزل .

وأما في الزُّمر ، فإنها أخصُّ ؛ لأنه يقال ذلك للزمرة ، كما قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ أي : لكلِّ زمرة . فناسب ذكر ما هو أخصُّ وهو التلاوة .

١٣٠ - قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٧] .

وقال في سورة الكهف : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [الكهف : ٥٧] .

سؤالٌ : ما الفرق بين قوله : (وصدف عنها) وقوله : (فأعرض عنها) ؟

الجواب : الصَّدَفُ كل شيءٍ مرتفعٍ عظيم ، كالحائِطِ والجبلِ .

والصَّدَفُ الجبل المرتفع ، والصَّدَفُ جانب الجبلِ ، وفي التنزيل في قصَّةِ ذي القرنين : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا ﴾ [الكهف : ٩٦] ^(١) .

وصدف عنها معناه : أعرض إعراضاً شديداً ، وهو في الصَّلابة كصدفِ الجبلِ ، أي : جانبه ^(٢) .

والسِّيَاق في آيةِ الأنعام يوضح هذا الإعراضَ الشَّدِيدَ ، فقد قال في آيةِ الأنعام : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِبَيِّنَاتٍ مِّنَ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ . فذكر التَّكْذِيبَ وَالْإِعْرَاضَ الشَّدِيدَ ، فقد قال في الكهف : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ فذكر التَّذْكِيرَ وَالْإِعْرَاضَ ، ولم يذكر التَّكْذِيبَ .

ونحو ذلك قال في سورة السَّجْدَةِ ، فقد قال : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴾ [السجدة : ٢٢] . فذكر التَّذْكِيرَ ثُمَّ الإِعْرَاضَ ، في حين ذكر التَّكْذِيبَ وَالْإِعْرَاضَ في الأنعام فكان ذلك أشدَّ .

ثم إن الجزاء أشدُّ في الأنعام ، فقد قال : ﴿ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ ولم يقل مثل ذلك في آيتي الكهفِ والسَّجْدَةِ .

ومما بيَّن ذلك أيضاً قوله بعد آيةِ الأنعام : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] مما يبين شدة الإعراض في حين لم يذكر مثل ذلك في الموضعين الآخرين ، فقد قال

(١) انظر : لسان العرب (صدف) .

(٢) انظر : مفردات الراغب (صدف) .

بعد آية الكهف : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابُ ﴾ [الكهف : ٥٨] .

وقال بعد آية السجدة : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ﴾ [السجدة : ٢٣] مما يبين شدة الإعراض في الأنعام ، فناسب كل تعبير موضعه .

١٣١ - قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦١] .

وقال في سورة التوبة : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [التوبة : ٣٦] .

سؤال : لماذا قال في آية الأنعام : ﴿ دِينًا قِيمًا ﴾ بكسر القاف ، وفتح الياء .

وقال في آية التوبة : ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ بتشديد الياء كالسَّيِّد ، وما الفرق بينهما ؟

الجواب : (القِيم) بكسر القاف وفتح الياء مصدر كالصَّغَر والكِبَر ، ومعناه الاستقامة ، وقد نعت به مبالغة^(١) ، وأما (القَيِّم) فهو صفة مشبهة ، أو مبالغة ، ومعناه المستقيم ، أي : المعتدل لا إفراط فيه ، ولا تفريط .

وقيل : هو القَيِّم على سائر الكتب السماوية الأخرى شاهداً

(١) انظر : لسان العرب (قوم) ، روح المعاني (٨ / ٧٠) .

بصحتها ، وقِيَمَ على مصالح العباد متكفل ببيانها لهم ، وأنه كامل بنفسه مكمل لغيره .

والقِيَمَ السَّيِّدَ وسائس الأمر . وقِيَمَ القوم ؛ الذي يَقُومُهم ويسوس أمرهم^(١) .

ومن المعلوم أن النعت بالمصدرِ أبلغ من النعتِ بالوصفِ ، وهو المناسب في سياقه ؛ ذلك أنه وصف الدين بالصراطِ المستقيم ، وأنه ملّة إبراهيم حنيفاً ، ثم أمره أن يقول : إن صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله ربّ العالمين ، فجعل كلّ شيء في حياته لله ربّ العالمين ، وأن محياه ومماته لله ربّ العالمين ، وأنه لا شريك له وأنه ربّ كلّ شيء ، فقد قال بعد هذه الآية : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لا شَرِيكَ لَمْ وَيَذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٦٢ - ١٦٤] فناسب هذه السّعة الوصفُ بالمصدر .

ثم إنه وصفه بالاستقامة مرّتين : مرةً بالوصفِ ، فقال : ﴿ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، ومرةً بالمصدرِ ، فقال : ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾ ، وذلك لتوكيد وصفه بالاستقامة ، والمبالغة في ذلك ، فناسب تكرار الوصفِ بالاستقامة الوصفَ بالمصدر .

بل إنه قيل : إن من معاني (الحنيف) المستقيم^(٢) ، فيكون وصفه بالاستقامة ثلاث مرات في الآية : وهي قوله : (إلى صراطٍ مستقيم) وقوله : (حنيفاً) وقوله : (ديناً قيماً) . فناسب ذلك الوصفُ بالمصدر للمبالغة .

(١) انظر : لسان العرب (قوم) .

(٢) انظر : لسان العرب (حنف) .

هذا علاوة على الزيادة في التوكيد في قوله : (إني) فجاء بنون الوقاية مع (إن) ، ولم يقل : (إني) ، وذلك للزيادة في التوكيد^(١) .

وأما آية التوبة فقد ذكر فيها ما يتعلق بعدة الشهور ، والأشهر الحرم ، وحكم القتال فيهن . وذلك جزء مما ورد في سورة الأنعام الذي شمل الحياة كلها ، والعبادة كلها .

فلما كان السياق في الأنعام أعم وُصف بالمصدر . ولما كان ما في التوبة جزءاً من ذلك ، وُصف بالوصف وهو الصفة المشبهة .

هذا علاوة على أن هناك قراءة متواترة أخرى في آية الأنعام وهي : (ديناً قيماً) بالصفة المشبهة على وزن (سيد)^(٢) .

فجمعت القراءتان النعت بالوصف وبالمصدر ، كما جمعت الآية النعت بالوصف وبالمصدر في قوله : ﴿ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، وقوله : (حنيفاً) وقوله : (ديناً قيماً) .

وكما جمع السياق في الأنعام كل أمور الحياة والممات . فكان كل تعبير أنسب في سياقه .

١٣٢ - قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلِيفَ الْأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] .

وقال في سورة فاطر : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [فاطر : ٣٩] .

(١) انظر : معاني النحو (١ / ٣٨٨) .

(٢) انظر : النشر في القراءات العشر (٢ / ٢٦٧) .

سؤال : لماذا قال في سورة الأنعام : ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ ﴾ بالإضافة ،
وقال في فاطر : ﴿ خَلَقَ فِي الْأَرْضِ ﴾ بذكر (في) ؟

الجواب : قوله : ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ ﴾ بالإضافة أعم من قوله : ﴿ خَلَقَ فِي الْأَرْضِ ﴾ . فقولك مثلاً : (هو ملك بلاد الشام) أعم من قولك : (هو ملك في بلاد الشام) ؛ لأن هذا يحتمل أنه ملك في بعض بلاد الشام .
وقولك : (هو ملك الأرض) أعم من قولك : (هو ملك في الأرض) .

وقد ناسب العموم في قوله : ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ ﴾ في الأنعام العموم في السياق ، فقد قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لا شريك لكم وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين [الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣] .
وهو أعم شيء في حياة الفرد :

١ - فقد جعل كل شيء من عبادته وحياته ومماته لله رب العالمين .

٢ - ثم إن قوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ عامٌ يشمل جميع المخلوقات ، فهو رب العالمين جميعاً .

٣ - وكذلك قوله : ﴿ لَا شَرِيكَ لِي ﴾ فنفي كل شريك له ، فقد استغرق نفي الشركاء على العموم .

٤ - ثم قال بعدها : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٦٤] .

فقد ذكر أنه رب كل شيء فليس ثمة شيء إلا هو ربّه ، فناسب العموم العموم .

وليس السِّياق كذلك في فاطر ، فقد قال : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾ [فاطر : ٣٩] فقال : ﴿ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾ بالإنفراد .

وليس السِّياق فيها بمثل ذلك العموم . فناسب كل تعبير مكانه .

جاء في (ملاك التأويل) : « قد تقدّم قبل آية الأنعام قوله سبحانه لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : ١٦١] واستمرّ الخطاب له معرباً عن حاله ، ووضح طريقه إلى قوله : ﴿ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٦٤] فعلم ما سواه سبحانه بالدخول تحت ملكه وقهره ، فناسب هذا ما ذكر من إنعامه على عباده بجعلهم خلائف الأرض . ولو كان بحرف الوعاء لم يكن ليفهم التوسعة في الاستيلاء والإطلاق إلا بضميم يحرز ذلك ؛ لأن قوله : ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ إنما يفهم أنها موضع استخلافهم ، وهل كلها أو بعضها ؟ ذلك محتمل » (١) .

١٣٣ - قال تعالى في الأعراف في ثمود : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ يَوْمًا فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٤] .

وقال فيهم في الشعراء : ﴿ أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هَلَنْتُمْ عَلَيْهِ أَمِينٌ ﴾ [الشعراء : ١٤٦] في جنت وعيون ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ مِنْهَا هَضِيمٌ ﴾ [الشعراء : ١٤٦] وَتَنْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا قَرِهِينَ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ [الشعراء : ١٤٦ - ١٥٠] .

سؤال : لماذا قال في الأعراف : ﴿ وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ يَوْمًا ﴾ ، وقال

في الشعراء : ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ ؟

الجواب : إن قوله : ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ يدل على التوسع في العمران ، فكأنهم ينحتون الجبال كلها بيوتاً ، أي : يجعلونها بيوتاً ، و(بيوتاً) حال .

وأما قوله : ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ فمعناه : أنهم يتخذون منها بيوتاً ، ولا يدل ذلك على الكثرة ، ويصح أن يقال ذلك ، ولو كان العدد قليلاً ، بخلاف ما في الأعراف . وكلُّ تعبيرٍ موافقٌ لسياقه .

فإن السياق في الأعراف يدل على التوسع في العمران ، يدلُّ على ذلك قوله : ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وقوله : ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ وقوله : ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ .

فشمل العمران السُّهولَ والجبالَ ، فيتخذون من السُّهولِ قصوراً وينحتون الجبالَ بيوتاً . فناسب قوله : ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ سياق التوسع في العمران .

وأما في الشعراء فالسياق يدلُّ على كثرة الزَّراعة ، وهو أدلُّ عليها من العمران ، يدلُّ على ذلك قوله في الشعراء : ﴿فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ وقوله : ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَاضِمًا﴾ . ولم يرد نحو ذلك في الأعراف .

فلم يبالغ في ذكرِ العمرانِ والتَّوسعِ فيه كما فعل في الأعراف . فناسب كلُّ موضعه .

وقد تقول : ألا يدلُّ ذلك على الاختلافِ والتَّناقضِ في الأخبار ؟ ثم أي الأمرين أصحُّ ، ما جاء في الأعراف ، أم ما جاء في الشعراء ؟

والجواب : كلاً ليس في الأمر تناقض ولا اختلاف ، فقوله : ﴿وَنَنْحِتُونَ الْجِبَالَ يُؤْتَا﴾ لا يناقض ﴿وَنَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّوتَا﴾ .

فإنهم على كل حال ينحتون من الجبال بيوتا ، ولكنه أفاض في ذكر ناحية العمران في الأعراف ، وأفاض في ذكر الزراعة في الشعراء ، كما نفعل نحن - والله المثل الأعلى - حين نصف الأماكن فقد نرکز على أمر في سياق ، ونرکز على أمر آخر في مناسبة أخرى . وكل ذلك صحيح .

١٣٤ - قال تعالى في الأعراف : ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٠١] .

وقال في يونس : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس : ٧٤] .

سؤال :

١ - لماذا قال في الأعراف : ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِنْ﴾ . وقال في يونس : ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ﴾ فزاد (به) على ما في الأعراف ؟

٢ - لماذا اختلفت خاتمة كل من الآيتين ، فقال في الأعراف : ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ . وقال في يونس : ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ فذكر الكافرين في الأعراف ، وذكر المعتدين في يونس ؟

الجواب :

١ - أما الجواب عن السؤال الأول ، فقد ذكرناه في كتابنا (التعبير

القرآني) في باب الذكر والحذف ، فلا نعيد الكلام فيه . وقد ذكرنا هناك أن الإطلاق هو سياق الأعراف ، وأن التخصيص هو سياق آية يونس ، وقد بينا ذلك ثم .

٢ - وأما الجواب عن السؤال الثاني ، فإن قوله في الأعراف : ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ مناسب لما تقدم من قوله سبحانه : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ .

فناسب ذكر الكافرين بمقابل قوله : ﴿ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ فإن الكفر مقابل الإيمان ، ومناسب لما قاله سيدنا شعيب في قومه قبل هذه الآيات : ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف : ٩٣] فناسب ذلك ذكر الكافرين أيضاً .

وأما في يونس ، فقد تقدم الآية ذكر قوم نوح ، وقد قال الله فيهم : ﴿وَأَنذَرْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كِبَرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِي وَتَذِكْرِي إِن بَاتَ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس : ٧١] .

فقوله : ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ وقوله : ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ يعني : للاعتداء عليه بأن يجمعوا أمرهم وشركاءهم ، وأن يقضوا إليه ، ولا يمهلوه . فناسب ذلك ذكر المعتدين .

١٣٥ - قال تعالى في الأعراف : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف : ١٠٣] .

وقال في يونس : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس : ٧٥] .

سؤال : قدّم (بآياتنا) في الأعراف على قوله : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ . وأخر (بآياتنا) في يونس عن قوله : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ فما السبب ؟

الجواب : لقد ذكر أنه أظهر الآيات أمام فرعون وملئه في الأعراف ، وأظهرها أمام السحرة أيضاً . فقد قال له فرعون : ﴿ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ ﴿١٠٩﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيْضَاءُ لِلنّٰظِرِينَ ﴿١١١﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ... ﴿١١٢﴾ [الأعراف : ١٠٦-١٠٩] ثم ذكر إلقاء العصا أمام السحرة ، ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١١٧] .

أما في يونس ، فلم يذكر أنه أظهر آية أمام فرعون وملئه ، وإنما قال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس : ٧٦] .

كما لم يذكر أنه أظهر آية أمام السحرة ، وإنما قال : ﴿ قَالَ لَهُمُ مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ ﴾ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : ٨٠-٨١] . ولم يذكر أنه ألقى العصا ، وأنها تلقف ما يأفكون .

فلمّا لم يكن الاهتمام بذكر الآيات في يونس ، كما في الأعراف أخرها بخلاف ما ورد في الأعراف . فناسب كلُّ تعبير موضعه .

١٣٦ - قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ نَقَّضْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ [الأعراف : ١٧١] .

سؤال : لماذا قال : (واقع بهم) ولم يقل : (واقع عليهم) ؟

الجواب : إن معنى : (وقع به) غير معنى : (وقع عليه) .

فمعنى : (وقع عليه) سقط عليه . وأما (وقع به) فتقال في الحرب . يقال : (وقع بهم) ، و (أوقع بهم) ، وذلك في الحرب ، أي : صدمهم في الحرب صدمةً بعد صدمة ، وسطاً وبالغ في قتالهم ^(١) .

والمعنى أنهم ظنوا أن الجبل سينزل بهم وقعةً ، وأنه سيقاتلهم ويحاربهم ، وهو المناسب لقوله : (نتقنا) وهو القلع ، فمعنى التثق إنما هو الجذب والزعزعة والاقتلاع ، ومعناه أيضاً : أن يقلع الشيء ، فيرفعه من مكانه ليرمي به ^(٢) . فأنضح المعنى .

١٣٧ - سؤال : قال تعالى في سورة التوبة : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ

رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٢٦] .

وقال في سورة الفتح : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح : ٢٦] بإضافة السكينة إلى ضميره سبحانه (سكينته) .

وقال في سورة الفتح : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح : ٤] . بتعريف السكينة بأل . فلم ذاك ؟

الجواب : حيث ذكر الرسول ﷺ ، أو كان موجوداً في السباق ،

قال : (سكينته) بإضافة السكينة إلى ضميره سبحانه ؛ تعظيماً وتكريماً له . وحيث ذكر المؤمنين ولم يذكر الرسول ﷺ أطلق السكينة ، ولم يضيفها إلى نفسه .

(١) انظر : لسان العرب (وقع) ، تاج العروس (وقع) .

(٢) انظر : لسان العرب (نتق) .

قال تعالى : ﴿ إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

وقال : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة : ٢٦] .

وقال : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ [الفتح : ٢٦] كل ذلك بالإضافة إلى ضميره سبحانه .

في حين قال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح : ٤] .

وقال : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] فأنضح مقام كل تعبير من التعبيرين .

١٣٨ - قال تعالى في سورة هود : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْحَرُمُونَ ﴾ [هود : ٣٥] .

وقال في سورة سبأ : ﴿ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ : ٢٥] .

سؤال : لماذا قال في آية هود : ﴿ مِمَّا تُجْحَرُمُونَ ﴾ بنسبة الإجماع إليهم ، وقال في (سبأ) : ﴿ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ بنسبة العمل إليهم ؟

الجواب : في آية هود نسبوا الافتراء إليه ﷺ ، قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ ﴾ . فقال لهم : ﴿ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي ﴾ أي : عقوبته

وإثمه ، وإن لم يكن الأمر كذلك ، فإنهم أجزموا بحقه في نسبة الافتراء إليه ، وهو بريء من إجرامهم .

ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ ﴾ تقرير أمر ؛ أي أنتم نسبتم الافتراء إليّ ، والحال أنني بريء من ذلك ، ومما تفعلونه من إجرام .

جاء في (الكشاف) : « والمعنى إن صحَّ وثبتَّ أنني افتريته فعليَّ عقوبة إجرامي ؛ أي افترائي . ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ ﴾ يعني : ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ، ومعنى ﴿ مِمَّا يُجْرِمُونَ ﴾ من إجرامكم في إسناد الافتراء إليّ فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم » ^(١) .

وأما في آية سبأ ، فهم لم ينسبوا إليه إثماً أو شيئاً ، وإنما هي من باب الإنصاف . وقد قال قبلها : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٢٤] .

جاء في (الكشاف) في قوله : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ : « هذا من الكلام المنصف ؛ الذي كلُّ ما سمعه من موالٍ أو منافٍ قال لمن خوطب به : قد أنصفك صاحبك » ^(٢) .

وقال في قوله : ﴿ قُلْ لَا تُشْكِرُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُشْكِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ : « هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ من الأول ؛ حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين (بكسر الطاء) ، والعمل إلى المخاطبين » ^(٣) .

(١) الكشاف (٢ / ٩٧) .

(٢) الكشاف (٢ / ٥٦٢) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٢ / ٥٦٢) .

١٣٩ - قال تعالى في سورة هود : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ [هود : ١٠٨] .

سؤال : ذكر ربُّنا أنَّ أهل الجنة خالدون فيها إلا ما شاء ربُّك ، فهل يعني ذلك أن ربَّنَا قد يخرجهم منها ؟

الجواب : إن أهل الجنة خالدون فيها أبداً ، كما أخبر ربُّنا في مواطن عدة من القرآن الكريم . وأما الآية المذكورة ، فقد ذكِرَ فيها أقوالٌ منها :

أن الاستثناء عندما كان من أهل الجنة في الموقف يوم الحساب ، قبل أن يحاسبوا ويُقضى لكل فردٍ جزاءه ، فالذين سعدوا لم يدخلوا الجنة بعدُ .

ومنها : أن ذلك الاستثناء إنما هو في البرزخ عندما كانوا في قبورهم .

ومنها : أن ذلك تحلُّلُ القسم ؛ إذ قال ربُّنا : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٧١) ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرَ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿ [مريم : ٧١ - ٧٢] .

وذلك عندما يوضعُ الجسرُ على متن جهنم ، ويمرُّ عليه الناسُ أجمعون ، فهذا يدخلُ في الاستثناء .

وقيل : إن ذلك فيمن يدخلُ النارَ من عصاة المسلمين ، ثم يخرجون منها إلى الجنة . وقيل في ذلك أقوالٌ أخرى^(١) ، والله أعلم .

١٤٠ - قال تعالى على لسان سيدنا يوسفَ لأبيه : ﴿ يَتَابَعْتَنِي رَأَيْتَ

(١) انظر : روح المعاني (١٢ / ١٤٤) ، فتح القدير (٢ / ٥٠٠) .

أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿ [يوسف : ٤] .

سؤال :

١ - لماذا عبّر عن الإخوة بالكواكب ولم يعبر عنهم بالنجوم ؟

٢ - ولماذا قدّم الكواكب على الشمس والقمر ؟

الجواب :

١ - عبّر عن الإخوة بالكواكب ؛ لأن الكواكب توابع بخلاف النجوم ، وهؤلاء الإخوة إنما هم توابع لوالديهم .

٢ - وأما تقديم الكواكب على الشمس والقمر ؛ فلأن المقام مقام تعظيم ليوسف ، والإخوة أولى بتعظيم أخيهما والسجود له من الأبوين . وهو أهون من تعظيم الأبوين وخرورهما له سُجّداً .

ثم إن الإخوة كانوا أسبق تعظيماً ليوسف ؛ إذ قد عرفوه قبل أن يعلم به الأبوان ، فناسب تقديم الكواكب .

١٤١ - قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَاهُمَا رَبِّيْهِ كَذَلِكَ ﴾ [يوسف : ٢٤] .

سؤال : هل هم سيدنا يوسف بامرأة العزيز ، كما يقال ؟

الجواب : الذي يدلّ عليه التعبير - والله أعلم - أن سيدنا يوسف لم يهّم بها ، وذلك أن (لولا) حرف امتناع لوجود ، وذلك نحو قولك : (لولا أبوه لضربته) ، فأنت لم تضربه لوجود أبيه .

فإن قدّمت ما يدلّ على الجواب ، فقلت (كنت أضربه لولا أبوه) ، فأنت لم تضربه أيضاً . والحكم واحد ، تقدم ما يدلّ على الجواب أو تأخر .

وكذلك ههنا ، فقد تقدّم ما يدلّ على الجواب ، فالهّم منتفٍ لوجود البرهان ، نظير قولك : (لولا أن رأى برهان ربّه لهم بها) . فامتنع الهّم لوجود البرهان ، وإلا لم يكن لقوله : (لولا أن رأى برهان ربّه) فائدة .

ونظيرُ هذا التّقديم في القرآن قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبُذُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ ﴾ [الفرقان : ٧٧] ، وقوله : ﴿ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ﴾ [القصص : ١٠] ، وقوله : ﴿ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ [الفرقان : ٤٢] .

والحكم واحدٌ تقدّم أو تأخّر ، ونحو ذلك في ذكر الجواب مؤخّراً قوله سبحانه : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَ لَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٤] . ولو قلت : (لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً لولا أن تبينك) لكان المعنى واحداً . وهذا نظير ذلك .

جاء في (البحر المحيط) : « والذي اختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همّ البتة ، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان ، كما تقول : (قارفت الذنب لولا أن عصمك الله تعالى . . . [والتقدير هنا] : لولا أن رأى برهان ربّه لهم بها »^(١) .

١٤٢ - قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾ [يوسف : ٩٠] .

سؤال : لماذا قال يوسف لأخوته : ﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾ ، مع أنهم يعلمون أنه أخوه ؟

الجواب : إنه قال لهم ذلك ليخبرهم أنه أخوه ، وهو يعرفه حقاً ،

أي : وهذا أخي أعرفه كما عرفتكم وأنتم لم تعرفوني ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [يوسف : ٥٨] .

أي : إنكم لم تخذعوني بشخصٍ آخرَ جئتموني به ، فتزعمون أنه أخي ، كما فعلتم مع أبيكم حين دخلتم عليه بالبكاء والمجيء بالقميص بالدم الكذب ، فإن هذا أخي ، أعرفه كما عرفتكم .

١٤٣ - قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ [يوسف : ٩٤] .

سؤال : لماذا قال : ﴿ لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ ولم يقل : (أشم) مع أن الروائح تشم ؟

الجواب : إنَّ ريح يوسفَ كانت ضائعةً مع يوسف فوجدها ، والضائعُ يقال فيه : (وجدته) .

ثم إن (وجد) لا يختصُّ بالأمرِ المادية ، وإنما هو عامٌّ في القلبي والمحسوس وغيره . قال تعالى : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾ [الأعراف : ١٠٢] ، وقال : ﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابُهُ ﴾ [النور : ٣٩] ، وقال : ﴿ وَلَا تَحِدْ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٧] .

١٤٤ - قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

سؤال : لما ذكر إحسانَ الله به في إخراجه من السِّجن ، ولم يذكر إخراجه من البئر ؟

الجواب : لم يذكر إخراجه من البئر ؛ لأنه أخرج من الرقِّ

والعبودية ، ثم إلى السَّجْنِ بتهمةٍ مخلَّةٍ بالشَّرَفِ ، فلا يكون في ذلك مَنَّةٌ .
وأما إخراجه من السَّجْنِ فالإِحْسَانِ إليه ، وجعله عزيزَ مصرَ .
فاختلف الأمران .

١٤٥ - سؤالٌ : قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [يوسف : ١٠٩] .

ونحو ذلك قال في آياتٍ عدةٍ من القرآن الكريم ، كما في [غافر : ٨٢] ، و [محمد : ١٠] ، وغيرها بإضافة (قبل) إلى الضمير (من قبلهم) .

غير أنه قال في سورة الروم : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [الروم : ٤٢] .

فلم يضاف (قبل) ، وإنما قطعها عن الإضافة ، فما السبب ؟

الجواب : إن قوله : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ ونحوه إنما هو تقرير لهم بأمرٍ قد فعلوه ، فهم قد ساروا ونظروا ، وذلك في أسفارهم في طرقهم المعهودة ، فقرّرهـم بذلك . فقولك : (ألم أقل لك كذا وكذا ؟) يعني أنك قد قلت له .

أما قوله : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ فإنه أمرٌ لهم بالسير والنظر على العموم ، وليس فيما اعتادوا عليه في أسفارهم فحسب . وهذا أوسع وأعم مما عهدوه وساروا فيه ونظروا ، ولذا حذف المضاف إليه ؛ للتعميم ، فقال : ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ .
فالسَّيْرُ أعمُّ ، والنَّظَرُ أعمُّ ، والزمن أعمُّ . والله أعلم .

١٤٦ - سؤال : ما دلالة القميص في قصة يوسف ؟

الجواب : استعمل (القميص) ثلاث مرات ، كل مرة في دلالة :

١ - فقد استعمل بيّنة مزورة للدلالة على هلاكه وأكل الذئب إياه ، وذلك في قوله سبحانه : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [يوسف : ١٨] .

٢ - واستعمل بيّنة صحيحة للوصول إلى الحكم وبراءة يوسف ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَذِبِكُمْ إِنَّ كَذِبَكُمْ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ [يوسف : ٢٦-٢٨] .

٣ - واستعمل بيّنة صحيحة للدلالة على نجاة يوسف ، وأنه لا يزال حياً ، وبشرى لوالده وسبباً لردّ بصره . وهو بيّنة صحيحة بقرينة الرائحة ، وقرينة الرائحة تستعمل الآن في القضاء .

فقد استعمل بداية لحزن يعقوب عندما جاؤوا بقميصه ، وأخبروه أن الذئب قد أكله ، واستعمل نهاية لحزنه عندما جاء البشير ، وألقاه على وجهه ، واستعمل للدلالة على هلاك يوسف ، كما استعمل للدلالة على أنه لا يزال حياً .

واستعمل القميص ثلاث مراحل من حياته :

١ - المرحلة الأولى : رميه في الجب ، وصيرورته مملوكاً بعد أن كان حراً ، والفرقة بينه وبين أهله .

٢ - المرحلة الوسطى : سجنه وفقدان الحرية ، والفرقة بينه وبين العزيز متولّي أمره .

٣ - المرحلة الثالثة : في جمع شمله بأهله وسعادتهم أجمعين .

الموافقات في القصّة :

١ - القمصان ثلاثة .

٢ - الرؤى ثلاث : رؤيا يوسف ، ورؤيا صاحبي السّجن ، ورؤيا الملك .

٣ - الرّحلات إليه للاختيار من قبل إخوته ثلاث :

أ - عندما دخلوا عليه فعرّفهم وهم له منكرون .

ب - الرّحلة التي جاؤوا فيها بأخيهم ، وفقد صواع الملك .

ج - الرّحلة التي قالوا فيها : ﴿ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضُّرُّ ﴾ ، وقال لهم : ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ .

١٤٧ - قال تعالى في سورة الرّعد : ﴿ إِنَّمَا يَنْذَكُرُ أَولُوا الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ الْمِثْقَالَ الثَّانِي ﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿ [الرعد : ١٩ - ٢٢] .

سؤال : لماذا جاء قسم من الصّلات بالفعل المضارع ، والقسم الآخر بالفعل الماضي ؟

الجواب : يمكن أن نضع إجابة موجزة بما يأتي :

١ - ما كان له وقت محدد ، أو ليس مستمراً استمرار بقيّة الصفات ، عبّر عنه بالفعل الماضي ، وهو إقامة الصلاة والإنفاق .

٢ - ما كان سابقاً لكل الأوصاف المذكورة ، عبّر عنه بالفعل الماضي وهو الصّبر ، ولم يرد في القرآن صلة إلا بالماضي .

٣ - وما عدا ذلك ، وهو المستمر ممّا ليس له وقت محدد عبر عنه بالفعل المضارع .

فقوله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ ﴾ عامٌّ يشمل جميع أوامره ونواهيه ، وهو مستمرٌّ بالليل والنهار .

وقوله : ﴿ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴾ تأكيد لما قبله ، ولما كان ما قبله مستمراً أيضاً ، ويشمل أيضاً جميع ما يعطونه للناس من موثيق . وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ يشمل عموم ما أمر به من الإطعام ، وصلة الرّحم وعموم ما أمر الله به أن يوصل ، وقوله : ﴿ وَتَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ يفيد الاستمرار وعدم الانقطاع ، فهو مستمرٌّ في كلّ حين . ونحوه قوله : ﴿ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ .

وأما قوله : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ فإنه جاء به بالفعل الماضي ؛ لأنه أسبق من كل ما ذكر ، ولأن تلك الصّلات مترتبة على حصول الصّبر وتقدّمه عليها . ولذا لم يرد الصّبر صلة إلا بصيغة الماضي في القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ [الشورى : ٤٣] ، وقال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [هود : ١١] ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ [الرعد : ٢٢] ، وقال : ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل : ٤٢] ، وقال : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ ﴾ [النحل : ٩٦] .

وقوله : ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ عبّر عنها بالماضي ؛ لأن لها أوقاتها محدّدة ، وليست مستمرة استمرار الصّفات الأخرى كما ذكرنا ، ولتحققها وتمكّنها من أنفسهم .

ثم إنه إذ أوقع الماضي صلةً احتمل أن يراد به المستقبل^(١) ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُهْذَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ [١٥٩] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ [البقرة : ١٥٩ - ١٦٠] .

فقوله ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا ﴾ يفيد الاستقبال أي : يتوبون ويبينون ؛ لأنه واقع بعد الكتمان ، والكتمان عبر عنه بالمضارع .
وقوله : ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ ليس ذلك مستمراً استمرار ما قبلها ، وهو دون الصلاة التي تتكرر خمس مرات في اليوم والليلة ، فجاء بالفعل ماضياً كما ذكرنا .

وقوله : ﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ جاء به بالمضارع ؛ لأن ذلك ليس له وقت محدد كالصلاة والإنفاق الواجب .
ثم إن هذا له حالتان :

إنه إذا أتوا بمعصية درؤوها ودفعوها بالتوبة والحسنة ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود : ١١٤] ، وكما قال ﷺ : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » .

وأنهم لا يقابلون الشرَّ بالشرِّ ، بل بالإحسان . والإنسان كثيراً ما يسيء أو يساء إليه ، ويدرك ذلك كله بالحسنة .

جاء في (روح المعاني) في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى

(١) انظر : البحر المحيط (٥ / ٣٨٥ - ٣٨٦) ، روح المعاني (١٣ / ١٤٦) .

الدَّارِ ﴿ [الرعد : ٢٢] : « ويظهر أن اختصاص هذه الصَّلَةِ بالماضي ، وما تقدَّم بالمضارع أن ما تقدَّم قصد به الاستصحاب والالتباس ، وأما هذه فقد قصد بها تقدُّمها على ذلك ؛ لأن حصول تلك الصَّلَات إنما هي مترتبة على حصول الصَّبْر ، وتقدُّمه عليها . ولذا لم تأت صلة في القرآن إلا بصيغة الماضي ؛ إذ هو شرط في حصول التكليف وإيقاعها » ^(١) .

١٤٨ - قال الله سبحانه في سورة الحِجْرِ : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مِنْ أَسْفَرٍ السَّمْعِ فَاتَّبَعُهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ [الحجر : ١٦ - ١٨] .

وقال في سورة الصَّافَاتِ : ﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوْكَبِ ﴿٦﴾ وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِمًا لَّا أَعْلَى وَيَقْدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعُهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات : ٦ - ١٠] .

سؤال : لماذا قال في الحِجْرِ : ﴿ فَاتَّبَعُهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ ، وقال في الصَّافَاتِ : ﴿ فَاتَّبَعُهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ ؟

الجواب : إن معنى (مبين) ظاهرٌ للمبصرين ^(٢) . ومعنى (ثاقب) نافذٌ بضوئه وشعاعه المنير ، ونيرٌ أي : متقد ^(٣) . والثقب : الخرق النافذ . و (المارد) هو العتي الشديد ، فإن معنى (تمرّد) عتا ^(٤) . و (الرّجيم) هو الملعون ، وهو المطرود المبعد ، والمرمي بالشُّهب ،

(١) روح المعاني (١٣ / ١٤١) ، وانظر : البحر المحيط (٥ / ٣٨٦) .

(٢) روح المعاني (١٤ / ٢٣) .

(٣) انظر : البحر المحيط (٧ / ٣٥٣) ، لسان العرب (ثقب) .

(٤) لسان العرب (مرد) .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾
[الملك : ٥] .

والوصف بالمارد أقوى وأشدُّ من الوصف بالرجيم . و (الخطف)
هو الاستلاب والاختلاس والأخذ في خفة وسرعة^(١) ، قال تعالى :
﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ
سَحِيقٍ﴾ [الحج : ٣١] .

و (الاستراق) أخذ الشيء بخفية^(٢) . واستراق السمع قد يكون
بالنَّصْتِ ، ولا يقتضي الحركة . أما الخطف ففيه سرعة واختلاس
واستلاب . فالمقام في الصَّافَاتِ أشدُّ ؛ فقد ذكر الشيطان المارد
والخطف . ولما كان المقام في الصَّافَاتِ أشدَّ وأسرع ، وفيه حركة
وسرعة ، وهو الخطف استدعى من الحفظ ما هو أشدُّ ، فقال :

أ - ويقذفون من كلِّ جانبٍ .

ب - وقال : (دحوراً) وهو مصدرٌ بمعنى الحال ، أي : مطرودين
على سبيل الإهانة والإذلال^(٣) ، أو مفعول له .

ج - وقال : ﴿وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ﴾ ، وهو أقوى من (حفظناها)
المذكورة في آية الحَجَرِ ؛ لأنه مصدر ، وهو غير مقيد بزمن والمصدر
أقوى من الفعل .

(١) انظر : روح المعاني (٢٣ / ٧١) ، لسان العرب (خطف) .

(٢) انظر : لسان العرب (سرق) .

(٣) انظر : لسان العرب (دحر) .

د - وقال : ﴿وَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي : دائم ^(١) .

هـ - وقال : ﴿فَاتَّبَعُوا شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ وهو أقوى من المبين ؛ لأنه مبين وزيادة ، وأنه قد يخرق أجسادهم ويثقبها . أما المبين فقد يكون ذا نورٍ قليل ، ولا يقتضي شدته ، فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعه .

١٤٩ - قال تعالى في سورة الحجر في قوم لوط : ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ ^(٧٥) فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ^(٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ^(٧٧) وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ^(٧٨) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ^(٧٩) [الحجر : ٧٣ - ٧٧] .

ثم قال في أصحاب الأيكة : ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾ ^(٨٠) فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لِبِأْسٍ مُّبِينٍ ^(٨١) [الحجر : ٧٨ - ٧٩] .

سؤال :

١ - لماذا قال أولاً في قوم لوط : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ بالجمع ، ثم قال بعدها : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ ؟

٢ - لماذا قال في أصحاب الأيكة : (وإنهما) بالثنية ، ولم يقل : (وإنهم) أو (وإنها) بالافراد ؟

الجواب : أما قوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ ، فلأنه ذكر آيات ، ولم يذكر آية واحدة ، فقد قال :

١ - فأخذتهم الصَّيْحَةُ مشرقين : وهذه آية ، وهي الأخذ بالصَّيْحَةِ .

(١) انظر : لسان العرب (وصب) .

٢ - فجعلنا عاليها سافلها : وهذه آية أخرى .

٣ - وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل : وهذه آية ثالثة ، فقال : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ .

وأما في قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فهذا يعود على قوله : ﴿ وَإِنَّمَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ ، وذلك يعود على الآثار الباقية من قرية قوم لوط ، وهي آية وليست جميع الآيات ، أي : إنها بطريق واضح^(١) .

- وأما قوله : ﴿ وَإِنَّمَا لِبَإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ ، فالضمير يعود على محلّي قوم لوط ، وقوم شعيب أصحاب الأيكة ، فإنهما بطريق واضحة مسلوكة^(٢) . فأعاد الضمير عليهما بالتثنية .

١٥٠ - قال تعالى في سورة التحلّ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوْهُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [النحل : ٤٨] .

سؤال : لماذا أفرد اليمين وجمع الشمائِل فقال : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ ؟

الجواب : قيل : إن ذلك لعدة مناسبات منها :

إنه قيل : إن المراد باليمين جهة المشرق ، والمراد بالشَّمال جهة المغرب ، وإن الظلال في جهة المغرب بعد الزوال تمتد وتكثر ، بخلافها في جهة المشرق ، فإنها تنقص وتضمحل ، حتى لا يبقى منها إلا اليسير ، فناسب جمع الشمائِل وإفراد اليمين . جاء في (روح المعاني) : « قيل : إنه أفرد وجمع بالنظر إلى الغائتين ؛ لأن ظلَّ الغداة

(١) انظر : روح المعاني (١٤ / ٧٤) .

(٢) انظر : روح المعاني (١٤ / ٧٤) .

يضمحل حتى لا يبقى منه إلا اليسير ، فكأنه جهة واحدة . وهو في العشيّ على العكس ؛ لاستيلائه على جميع الجهات «^(١) .

وقيل أيضاً : إن اليمين وهو جهة المشرق إنما هو جهة مطلع الثور ، وإن الشمال هو جهة المغرب ، وهو الظلمة . والقرآن يفرد النور ويجمع الظلمات حيث وردا في القرآن . قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام : ١] ، فناسب إفراد اليمين وجمع الشمال ، كما أفرد النور وجمع الظلمات «^(٢) .

وقيل أيضاً : « إن الظل الجائي من جهة المشرق لا يتعلق به أمرٌ شرعيّ ، والجائي من جهة المغرب يتعلق به ذلك . فإن صلاة الظهر يدخل وقتها بأول حدوثه من تلك الجهة ، بزوال الشمس عن وسط السماء . ووقت العصر بصيرورته مثل الشاخص أو مثليه بعد ظلّ الزوال . . . ووقت المغرب بشموله البسيطة بغروب الشمس . وما أطف وقوع (سجداً) بعد (الشّائل) على هذا ! » «^(٣) .

١٥١ - قال تعالى في سورة النحل : ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [النحل : ٦٥] .

وقال في سورة الروم : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم : ٢٤] .

(١) روح المعاني (١٤ / ١٥٦) .

(٢) انظر : روح المعاني (١٤ / ١٥٦) .

(٣) روح المعاني (١٤ / ١٥٦) .

سؤال : لماذا قال في آية النحل : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ بإفراد الآية ، وقال في الرُّوم : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ بالجمع مع أن المشهد واحد ؟

الجواب : إن ذلك لأكثر من جهة ؛ فقد ذكر البرق خوفاً وطمعاً في الروم ، ولم يذكر ذلك في النحل ، فزادت الآيات . ومن جهة أخرى أنه قال في النحل : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ ﴾ بالفعل الماضي .

وقال في الرُّوم : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ ﴾ بالفعل المضارع ، فتكرّر التنزيل والإحياء فصارت آيات ، وليست آية واحدة . وقال : ﴿ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ ﴾ بالفعل المضارع فتكرّر الرؤية . فناسب ذكر الآيات في الرُّوم .

١٥٢ - قال تعالى في سورة النحل : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ آجِبْتُهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٢﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ الصَّالِحِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠ - ١٢٢] .

وقال في سورة العنكبوت : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرًا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

سؤال : لماذا قال في النحل : ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ . وقال في العنكبوت : ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرًا فِي الدُّنْيَا ﴾ ؟

الجواب :

١ - لقد قال في سياق آية العنكبوت في قصة إبراهيم : ﴿ إِنَّكَ أَلَذِينَ نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٧] ، فلما ذكر الرزق ناسب ذكر الأجر .

٢ - إن ما ورد في النَّحْلِ هو كل ما ورد من قصة إبراهيم . وأما في العنكبوت فكان له مع قومه موقف ودعوة ؛ فقد دعاهم إلى عبادة الله إلى أن برموا به ، وقالوا : ﴿ أَفْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ﴾ [العنكبوت : ٢٤] .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ هَبْنَا دُودُنَا لِقَوْمِهِمْ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [١٦] إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٦ - ١٧] . فجزاء ربُّه أن وهب له إسحاق ويعقوب ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب ، وآتاه أجره . ولم يذكر في سياق النَّحْلِ نحو ذلك ليعطيه أجراً ، فإن الأجر هو جزاء العمل .

٣ - ذكر ربُّنا في النَّحْلِ أن ربَّنَا اجتباه وهداه إلى صراطٍ مستقيم ، ولم يذكر له عملاً ، وإنما وصفه بقوله : ﴿ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . فلما لم يذكر عملاً لم يذكر أجراً ، وإنما قال : ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ .

٤ - وصف سيدنا إبراهيم في النَّحْلِ بقوله : ﴿ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾ ، والقنوت هو الطَّاعَةُ ، والخضوعُ . فلما ذكر الطَّاعَةَ على العموم ذكر الحسنة التي هي عامَّةٌ ، ولما ذكر في العنكبوت نوعاً من الطَّاعَةِ وهو الدَّعوة والتَّبليغ ، ذكر الأجر الذي هو أخصُّ من الحسنة ، فناسب العمومُ العمومَ ، والخصوصُ الخصوصَ .

١٥٣ - قال تعالى في سورة مريم : ﴿ يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ [مريم : ٨٥] .

وقال في سورة الزمر : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾

[الزمر : ٧٣] .

سؤال : لماذا قال في آية مريم : (نحشر) ، وقال في آية الزمر : (وسيق) فاستعمل الحشر في مريم ، والسوق في الزمر مع أن الكلام في الموضوعين على المتقين ؟

الجواب : إنَّ معنى (حشر) جمع ^(١) ، والحشر الجمع ، قال تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ ﴾ [النمل : ١٧] أي : جمع .

لقد قال في آية مريم : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ والوفد لا بدَّ أن يكتمل أفراده ، فهم يجمعون قبل أن يذهب بهم إلى الرحمن لتكريمهم . وقال في آية الزمر : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزمر : ٧٣] أي : جماعات ، فهم لم يكتملوا بعد ، حتى إذا اكتملوا جمعوا ، وذهب بهم إلى الرحمن وفداً ، فناسب كلُّ تعبير موضعه .

١٥٤ - قال تعالى في سورة مريم : ﴿ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾

[مريم : ٩٤] .

سؤال : ما الفرق بين العد والإحصاء ؟

الجواب : العدُّ ضم الأعداد بعضها إلى بعض ^(٢) . و (عدَّهم) أي :

(١) انظر : لسان العرب (حشر) .

(٢) مفردات الراغب (عدد) .

عدَّ أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم^(١) . أما (الإحصاء) فهو العدُّ والحفظ والإحاطة . وأحصى الشيء أحاط به^(٢) . وأحصاهم عدَّهم وحفظهم وحصرهم وأحاط بهم ، بحيث لا يخرج أحدٌ من حيلة علمه^(٣) .

١٥٥ - قال تعالى : ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾

[طه : ٩٧] .

سؤال : لماذا قال : (ظَلْتَ) بلام واحدة مع أن الأصل أن يقال : (ظَلَلْتَ) كما يقال : (مدت) و (فررت) ، قال تعالى : ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء : ٢١] .

الجواب : هذه لغة لبعض العرب ، ويقسون ما كان نحوه في كل مضاعف العين واللام^(٤) ، نحو أحسست فيقولون : (أحست) ولا يكون ذلك إلا إذا سكن آخر الفعل . وقد حذف ههنا تخفيفاً .

وقد ذكرنا في كتابنا (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني) في باب الذكر والحذف أن القرآن قد يحذف من الفعل ؛ للدلالة على أن الحدث أقل مما لم يحذف منه ، وأن زمنه أقصر ، أو يحذف في مقام الإيجاز والاختصار^(٥) . وذلك نحو : (تنزل) و (تنزل) و (تتوفاهم) و (توفاهم) ، وغيرها .

(١) روح المعاني (١٦ / ١٤٢) .

(٢) انظر : لسان العرب (حصي) .

(٣) انظر : روح المعاني (١٦ / ١٤٢) .

(٤) انظر : لسان العرب (ظلل) .

(٥) انظر : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (١١ وما بعدها) .

وهلها حذف من الفعل مناسبة لقصر المدة التي ظل عليه عاكفاً فيها . وذلك أن السامري عكف على عبادة العجل حين ذهاب موسى إلى مناجاة ربه ، وأن مدة ذهاب موسى لمناجاة ربه وعودته أربعون ليلة ، كما قيل ، وأن فتنتهم كانت في العشر الأواخر^(١) ، فعبادة العجل كانت عشرة أيام . فلما كان العكوف عليه قليلاً ، حذف من الفعل مناسبة لقصر المدة .

ونحو هذا قوله تعالى في سورة الواقعة : ﴿لَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا فَظَلَمْتَ فَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ [الواقعة : ٦٥ - ٦٧] . فقال : (فظلمت) والأصل (فظللتم) فحذف اللام الأولى ، كما في الآية السابقة . ومعنى : (تفكهون) أي : تقولون ذلك ، ولا شك أن القول لا يظل مستمراً على الدوام . قد يكون الحزن مستمراً مدة طويلة ، ولكن القول لا يستمر ، فالحذف من الفعل مناسب لقصر الحدث ، وهو شأن كثير من التعبيرات في نحو هذا . والله أعلم .

١٥٦ - قال تعالى في سورة الأنبياء : ﴿وَلَيْنَ مَسْتَهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٤٦] .

سؤال : لماذا قال : (مستهم) ولم يقل : (أصابهم) ؟

الجواب : أراد ربنا أن يبين تأثير العذاب على المذكورين ، وأنه إذا مسهم منه أقل القليل نادوا بالويل ، واعترفوا بظلمهم ، فكيف إذا أصابهم منه الكثير ؟ فقال : ﴿وَلَيْنَ مَسْتَهُمْ﴾ والمس دون القود ، ويكفي في تحقيقه اتصال ما^(٢) .

(١) انظر : فتح القدير (٢ / ٢٣١) ، روح المعاني (٩ / ٦٤) .

(٢) انظر : روح المعاني (١٧ / ٥٤) .

وقال : (نفحة) والنفح فيه معنى القلّة والتّزارة ، فإن أصله هبوب رائحة الشّيء . ونفحه أعطاه يسيراً^(١) . وفي (لسان العرب) : « النفحة دفعة الرّيح طيبة كانت أو خبيثة »^(٢) . وقال : (نفحة) ببناء المرّة أي : نفحة واحدة . فإذا مسّتهم نادوا بالويل ، فكيف إذا أصابهم العذاب ، أعاذنا الله منه ؟

جاء في (روح المعاني) : « وفي (مستهم نفحة) ثلاث مبالغات ، كما قال الزمخشري . . . ذكر المسّ ، وهو دون النفوذ ، ويكفي في تحقّقه اتصال ما ، وما في النّفح من معنى التّزارة . . . وبناء المرّة ، وهي لأقلّ ما ينطلق عليه الاسم »^(٣) .

وجاء في (التفسير الكبير) للرازي : « والمعنى : ولئن مسّهم شيء قليل من عذاب الله كالرائحة من الشّيء دون جسمه ؛ لتنادوا بالويل واعترفوا على أنفسهم بالظلم »^(٤) .

وفي الآية مبالغات وتوكيدات عديدة منها :

- ١ - اللّام الموطئة للقسم في (لئن) .
- ٢ - المسّ وهو ما دون النفوذ كما ذكرنا .
- ٣ - النّفح وهو التّزّال اليسير ، وهبوب رائحة الشّيء .
- ٤ - بناء المرّة في (نفحة) .

(١) انظر : روح المعاني (١٧ / ٥٤) .

(٢) لسان العرب (نفح) .

(٣) روح المعاني (١٧ / ٥٤) ، وانظر : الكشف (٢ / ٣٢٩ - ٣٣٠) .

(٤) التفسير الكبير (٨ / ١٤٥) .

٥ - وقال : (من عذاب) للدلالة على التبعية ، أي : بعض منه ، ولم يقل : (نفحة عذاب) .

٦ - وقال : ﴿ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾ ولم يقل : (من عذاب الله) ؛ ليبين أنه إنما أرسله ربُّه وأنذرهم بالوحي الذي أوحاه إليه ، فقد قال قبل هذه الآية : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّرُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٤٥] .

والرَّبُّ فيه معنى التَّربية والتَّوجيه والإرشاد ، ومن مقتضياته التحذير والإنذار ، فلئن مسَّتْهم نفحة من عذابِ المربِّي الأعظم ؛ ليرتدعوا ويحذروا ؛ لنادوا بالويل ، فكيف إذا أصابهم عذابُ الله ؟! والرَّبُّ يعاقب ويؤدِّب ، قال تعالى : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٣ - ١٤] .

٧ - وقال : (ليقولنَّ) وهو جوابُ القسم .

٨ - وقال : (ليقولنَّ) بنون التَّوكيدِ الثَّقيلةِ ، ولم يقل : (ليقولنَّ) بالنونِ الخفيفةِ ، كما في قوله : ﴿ لَسْتَعْمَأْ بِالنَّاصِيَةِ ﴾ [العلق : ١٥] . ونون التَّوكيدِ الثَّقيلةِ أكثرُ توكيداً من الخفيفةِ .

٩ - وقال : (يا ويلنا) وهو دعاء بالويل والهلاك ، أي : أصابهم الهلاكُ .

١٠ - الاعترافُ بالظلم : ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ .

١١ - توكيدُ الاعترافِ بـ (إن) (إنا) .

١٢ - جاء بالظلم بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت ، أي : إنهم كانوا متَّصفين بالظلم على وجه الثبوت . هذا إن مسَّتْهم نفحة من

العذاب ، فكيف إذا أصابهم العذاب ؟! فهذا أدلُّ على شدة العذاب .

١٥٧ - قال الله سبحانه في سورة الحج : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٧] .

سؤال : ذكر ربُّنا في المجيء إلى الحج الذين يمشون على أرجلهم ، والرُّكبان على الجمال . فلماذا لم يذكر وسائل النقل الأخرى ، أو يشير إلى ما قد يرد من وسائل الثقل في المستقبل ؟

الجواب : إنَّ ربَّنَا قال في الآية : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا... ﴾ [الحج : ٢٧] ولم يقل : (يأتوه رجالاً ...) فالخطاب لسيِّدنا إبراهيم ، وليس في عصره غير ما ذكر . وقد تقول : ولمَ لم يذكر الفلك ، وقد كانت في عهده ؟

فنقول : إن الفلك لا تصل إلى بيت الله الحرام ، ومكة ليست على البحر ، فلا يصحُّ ذكر غير ما ذكر .

١٥٨ - قال تعالى في سورة الفرقان : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا [الفرقان : ٧٠-٧١] .

سؤال : لماذا ختم الآية الأولى بقوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ . وختم الآية الثانية بقوله : ﴿ فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ ؟

الجواب : لمَّا قال في الآية الأولى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ ناسب ذلك قوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ؛ لأن الذي يفعل ذلك إنما هو الغفور الرحيم . وأما الآية الأخرى فهي في صفة التائب ، وليست في الكلام على الله ، فناسب ذلك قوله : ﴿ فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ .

١٥٩ - قال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الشعراء : ٣٨] .

وقال في سورة الواقعة : ﴿ قُلْ إِنَّا أَوَّلَيْنَ وَالْآخِرِينَ ﴿١٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الواقعة : ٤٩ - ٥٠] .

سؤال : لماذا قال في الشعراء : ﴿ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ باللام ، وقال في الواقعة : ﴿ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ بحرف الجر (إلى) ؟

الجواب : إِنَّ (إلى) تفيد انتهاء الغاية . وإن اللام قد تكون للتعليل ، وذلك نحو قولهم : (أعددتك لهذا اليوم) ، و (كنت هيأتكم لهذا اليوم) ، وقد تكون للانتهاء بمعنى (إلى) نحو : (ذهب لخالد) أي : (إلى خالد) و (كل يجري لأجل) .

والأظهر أن اللام في الشعراء تفيد التعليل ، وليست لانتهاء ؛ ذلك أن معنى الانتهاء أن جمع السحرة مستمرٌ إلى ذلك اليوم ، وليس الأمر كذلك ، فإن السحرة جيءَ بهم وجمعوا قبل ذلك اليوم ، وليس الجمع مستمراً إلى ذلك اليوم .

وأما في سورة الواقعة فإن (إلى) تفيد الانتهاء ، وذلك أن الأولين والآخرين يستمر جمعهم إلى ميقات ذلك اليوم ، وهو يوم القيامة . ويصح أن يؤتى في يوم القيامة باللام على إرادة التعليل ، وأن يؤتى بـ (إلى) على معنى انتهاء الغاية .

قال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٥] فجاء باللام . وقال : ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الجاثية : ٢٦] فجاء بـ (إلى) .

١٦٠ - قال تعالى في سورة النمل : ﴿يَتَأْتِيهَا التَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل : ١٨] .

سؤال : ذَكَرَ أن في هذه الآية أوجهاً بلاغيةً متعددة ، فما هي ؟

الجواب : ذكر أنه جمع في هذه الآية أحد عشر جنساً من الكلام : نادى ، وكثرت ، ونبّهت ، وسمّيت ، وأمرت ، وقصّت ، وحذرت ، وخصّصت ، وعمّت ، وأشارت ، وأعدرت .

فالنّداء : (يا) ، والكناية : (أي) ، والتّنبية : (ها) ، والتّسمية : (النمل) ، والأمر : (ادخلوا) ، والقصص : (مساكنكم) ، والتّحذير : (لا يحطمنكم) ، والتّخصيص : (سليمان) ، والتّعميم : (جنوده) ، والإشارة : (وهم) ، والعدر : (لا يشعرون) .

فأدت خمسة حقوق : حقّ الله ، وحقّ رسوله ، وحقّها ، وحقّ رعيّتها ، وحقّ جنود سليمان .

فحقّ الله أنها استرعت على التمل ، فقامت بحقهم .

وحقّ سليمان أنها نبّهته على التمل .

وحقّها إسقاطها حق الله عن الجنود في نصيحهم .

وحقّ الجنود بنصيحها لهم ؛ ليدخلوا مساكنهم .

وحقّ الجنود إعلامها إيّاهم وجميع الخلق أن من استرعه رعية ، فوجب عليه حفظها والذبّ عنها ، وهو داخل في الخبر المشهور :

« كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »^(١) . وفيها غير ما ذكر أيضاً ، فهي نهت وبالغت وأكّدت ونفت .

فالتَّهْيِ قوله : (لا يحطمنكم) ، والمبالغة أنها أسندت التَّهْيِ إلى سليمان ، والمقصود الجنود ، أي : لا تدعوا سليمان يحطمكم ، والتَّوكِيد بالنونِ الثَّقِيلَةِ ، والنفي : (لا يشعرون) . وهناك غير ذلك أيضاً .

فقد نادت بقولها : (يا أيها النمل) ، وليس بـ (يا نمل) ، فجاء بـ (أيها) بـ (أي) و (ها) للتنبيه ؛ لئلاً يفوت شيء من كلامها ، وليسمع من كان منشغلاً ، وذلك لأهمية تحذيرها .

وجاء بـ (يا) لنداء البعيد . ولم يحذف حرف النداء ؛ ليصل صوتها ونداؤها إلى من كان بعيداً عنها ، ولئلاً يفوت المهم إذا حذف حرف النداء . وقدّمت النداء على قولها : (ادخلوا مساكنكم) ؛ لئلاً يفوت الأهم من الكلام ، وهم منشغلون منهمكون في العمل غير متوقعين ، أو عالمين بما يحدث .

وقالت : (ادخلوا) بخطاب العقلاء ؛ الذي دلّت عليه واو الجماعة ، ولم تقل : (ادخلن) أو (ادخلي) . وقالت : (مساكنكم) أي : ليستقر كل واحد في مسكنه ، وبالإضافة إلى ضمير العقلاء . وذكرت (سليمان) باسمه العلم ؛ إشارة إلى أنها عارفة به ، ولم تذكر صفته أي الملك . وذكرت الجنود وأضافتهم إلى سليمان ، ولم تقل : (والجنود) .

(١) انظر : البرهان (٣ / ٢٢٧ - ٢٢٨) ، وانظر : الإتقان ، تحقيق : د . أحمد القيسية ومحمد أشرف (٣ / ٢١٨) .

وقالت : (وهم لا يشعرون) فنفت عنهم الشعور ، وفيها أدب الحديث . جاء في (روح المعاني) : « وأياً ما كان ، ففي تقييد الحطم بعدم الشعور بمكانهم ، المشعر بأنه لو شعروا بذلك لم يحطموا ، ما يشعر بغاية أدب النملة مع سليمان عليه السلام وجنوده »^(١) . وذكر في الحطم إعجاز علمي ، والله أعلم .

١٦١ - سؤال : ما الحكمة في اختلاف خواتيم الآيات من الآية الستين إلى الآية الرابعة والستين في سورة النمل ؟

الجواب : إن كل آية ختمت بما يناسب السياق :

١ - قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَعْلَمِ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُلُونَ ﴾ [النمل : ٦٠] .

ختم الآية بقوله : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُلُونَ ﴾ . ومعنى (يعدلون) : ينحرفون عن الحق ، ذلك أنهم يعلمون ما ورد في الآية ، كما أخبر عنهم ربنا سبحانه ، فقد قال عنهم : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان : ٢٥] . وقال : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت : ٦٣] .

فلما كانوا يعلمون ذلك ، ناسب أن يقول فيهم : إنهم قومٌ يعدلون ، أي : ينحرفون عن الحق ، وعن طريقه الواضح البين ؛ لأن من علم ذلك انبغى له أن يعبد الله وحده ويوحده .

٢ - وقال في الآية الحادية والستين : ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ

خَلَلَهَا أَنهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ [النمل : ٦١] .

أي : بل أكثرهم لا يعلمون شيئاً من الأشياء معتدّاً به لقلة من ينظر في دقائق هذه المصنوعات ، ولا يعلمون كثيراً مما ذكر في الآية والحكمة منها ، ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك^(١) .
فناسب أن يختم الآية بما ختم .

٣ - وقال في الآية الثانية والسّتين : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴾ [النمل : ٦٢] .

فهم إذا وقعوا في مأزقٍ عظيمٍ وانقطعت بهم السُّبل ، لجؤوا إلى ربّهم ، حتى إذا أنجاهم نسوا ربّهم ، وعادوا إلى ما هم عليه ، كما أخبر عنهم سبحانه بقوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُكُمْ عَذَابٌ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِلَٰهُهُمُ اللَّهُ تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٠ - ٤١] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الزمر : ٨] .
فكانهم نسوا ما كانوا فيه من الحاجة إلى ربّهم ، والناسي به حاجة إلى التذكير والتذكّر ، فقال لهم : ﴿ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴾ .

٤ - قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلْ

الرَّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [النمل : ٦٣] . ذكر أولاً صفات هؤلاء القوم بأنهم قوم يعدلون ، بل أكثرهم لا يعلمون ، وقليلًا ما يتذكرون ، ثم ذكر بعد ذلك تنزيهه سبحانه وعلوه عما يشركون ، فالآيات السابقة في صفات أولئك المخلوقين المشركين وانحرافهم وجهلهم ، وقلة تذكيرهم . وذكر في هذه الآية تنزيهه سبحانه عن شركهم .

٥ - وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل : ٦٤] . فبدأ بسؤال ينكرونه ، وهو الحياة بعد الموت ، ثم طلب منهم البرهان على معتقداتهم وشركهم ، بعد كل ما ذكر ، وبعد ما ألزمهم الحجّة ، فقد قال لهم بعد كل تقرير : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ ۖ ﴾ وهم يقولون في أنفسهم أو بالستهم : نعم . فقال لهم : ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . فقد ذكرنا البراهين والدلالة على التوحيد وبطلان الشرك ، فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . فكان ذلك أنسب شيء وألزمه للحجّة .

١٦٢ - سؤال : قال تعالى في سورة الرّوم : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ يُظْهِرُونَ ﴾ [الرّوم : ١٧-١٨] . فقدم الإساءة على الإصباح ، وقدم العشي على الإظهار .

وقال في سورة الأحزاب : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٤١-٤٢] . فقدم البكرة على الأصيل . فما سبب ذلك ؟

الجواب : إنّ كلّ تعبير مناسب لما ورد في سياقه ؛ فإنّ آيات الرّوم

في سياق ذكر السَّاعَةِ ، فقد قال قبلها : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ
يَنْفَرُوت... ﴾ [الروم : ١٤ - ١٨] .

والساعة بعد زوال الدنيا وهي آخرها ، والإمساء آخر النَّهَارِ ،
فناسب آخرُ الدنيا آخرَ النَّهَارِ . وقَدَّمَ العِشْيَ على الإظهار كما قَدَّمَ الإمساء
على الإصباح . فالعِشْيُ مُتَّصِلٌ بالإمساء ، والإظهار يلي الإصباح . وأما
ما ورد في سورة الأحزاب فإنه مناسب لما ورد في سياقه ؛ فقد قال قبل
هذه الآية : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾
[الأحزاب : ٣٨] .

وهذا ابتداءً من أوائل التاريخ من الأمم السَّابِقَةِ ، فناسب تقديم ذكر
البكرة ؛ لأنها أَوَّلُ النَّهَارِ ، فناسب الأولُ الأولَ . وبعد هذه الآية قوله
سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] . فقال : ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ ﴾ وبعد الظلمة إنما هي البكرة ، وليس الأصيل ، فناسب كلُّ
تعبيرٍ موضعه .

جاء في (التفسير الكبير) للفخر الرَّازِي : « قَدَّمَ الإمساء على
الإصباح هاهنا ، وأخره في قوله : ﴿ وَسَيَحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ؛ وذلك لأن
ههنا أول الكلام ذكر الحشر والإعادة ، من قوله : ﴿ اللَّهُ يَبْدُوُا الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [الروم : ١١ - ١٦] . وآخر
هذه الآية أيضاً ذكر الحشر والإعادة بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ والإمساء
آخرٌ فذكر الآخر ؛ ليذكر الآخرة »^(١) .

وجاء في (البحر المحيط) لأبي حيّان : « وقَدَمَ الإمساءَ على الإصباح ، كما قَدَمَ في قوله : ﴿ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ والظلماتِ على الثَّوَرِ ، وقابل بالعشيّ الإمساءَ وبالإظهار الإصباح ؛ لأنَّ كلاًّ منهما يعقب بما يقابله ، فالعشي يعقبه الإمساءُ ، والإصباح يعقبه الإظهارُ »^(١) .

وجاء في (روح المعاني) : « قَدَمَ الإمساءَ على الإصباح لتقدّم الليل والظلمة ، وقَدَمَ العشيّ على الإظهار ؛ لأنه بالنسبة إلى الإظهار كالإمساء بالنسبة إلى الإصباح »^(٢) .

١٦٣ - قال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

سؤال : لماذا قال سبحانه : ﴿ وَبَنَاتِ عِمَّكَ ﴾ بإفراد العمِّ ، مع أن له أعماماً ، وليس عمّاً واحداً ، وجمع العمات والخالات ؟

الجواب : مما ذكر في ذلك أن من أعمامه العباسَ وحمزةً ، وهما أخواه من الرضّاع لا تحلُّ له بناتهما ، وأبو طالب ابنته أم هانئ لم تكن مهاجرة ، وقد قال سبحانه : ﴿ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ ، وبقية الأعمام بناتهم متزوجات .

وذكروا له أكثر من خالة ، منهن فُرَيْعة بنت وهبٍ الزُّهريّة ، وفاخنة بنت عمرو الزُّهريّة ، خالة النَّبِيِّ ﷺ ، وهالة بنت وهبٍ . وذكروا له عدّة عماتٍ ، وعدّة بناتٍ لهنَّ . وله خالٌ واحدٌ هو عبد يغوث بن وهبٍ .

(١) البحر المحيط (٧ / ١٦٦) .

(٢) روح المعاني (٢١ / ٢٩) .

فأفرد العمَّ لذلك . وذكرت أسباب أخرى للإفراد .

١٦٤ - سؤال : قال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾

[فاطر : ١٩] ، [غافر : ٥٨] .

وقال : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾

[فاطر : ١٢] فنفي بـ (ما) .

في حين قال : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

وقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ [الحشر : ٢٠] .

وقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ ﴾ [النساء : ٩٥] . فنفي بـ (لا) . فلم ذاك ؟

الجواب : إنّ (ما) إذا دخلت على الفعل المضارع كان النفي

للدلالة على الحال^(١) . وإذا دخلت عليه (لا) كان النفي للدلالة على

الاستقبال^(٢) . فما نفي بـ (ما) كان لنفي الحال ، فقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي

الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ إن عدم الاستواء فيه مشاهد في هذه الدنيا ظاهر لكل

أحد .

وكذلك قوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا

مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ فعدم الاستواء ظاهر في هذا . ونحو ذلك قوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي

الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ [فاطر : ٢٢] .

(١) المفصل (٢ / ١٩٩) ، المغني (١ / ٣٠٢) ، وانظر : كتاب سيويه

(١ / ٤٦٠) .

(٢) انظر : كتاب سيويه (١ / ٤٦٠) ، المغني (١ / ٢٤٥) .

أما ما نفى بـ (لا) فيفيد نفياً الاستواء في المستقبل ، فقوله : ﴿ وَلَا سَتَوَى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ إنما يظهر عدم الاستواء بينهما في الآخرة ، وكذلك قوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [النساء : ٥٩] فإن عدم استواء القاعدين والمجاهدين إنما يظهر أثره في الآخرة . وكذلك قوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ فإن عدم الاستواء إنما يظهر في الآخرة .

١٦٥ - قال تعالى في سورة يَس : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يس : ٦٥] .

وقال في سورة فصلت : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت : ٢٠] .

سؤال : لماذا ختم آية يس بالكسب ، فقال : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . وختم آية فصلت بالعمل ، فقال : ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ؟

الجواب : ذكر الكسب في آية يس لما ذكر الأيدي والأرجل ، وهما آلتا الكسب ، ولذلك كثيراً ما يقترن الكسب بالأيدي ، قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ [الروم : ٤١] . وقال : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ﴾ [المائدة : ٣٨] . وقال : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى : ٣٠] . وقال : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۖ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ ﴾ [المسد : ١-٢] . وذكر العمل في فصلت لذكر السمع والأبصار والجلود ، وهي تشهد العمل . فناسب كل تعبير مكانه الذي هو أنسب

١٦٦ - قال تعالى في سورة الزمر : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر : ٢] .

وقال في السورة نفسها : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْتْ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [الزمر : ٤١] .

سؤال : لماذا قال في الآية الأولى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ﴾ ؟

الجواب : إنَّ حرفَ الجرِّ (على) يستعمل للأمرِ الثقيلة وهي للاستعلاء وللتكاليف ، ولما يثقل أمره ، ولما هو أشقُّ على العموم ، بخلاف (إلى) فإنها ليست كذلك .

قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٦] ، وقال : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، وتقول العرب : (سرنا عشرًا وبقيت علينا ليلتان) ، وتقول : (حفظت القرآن وبقيت عليّ منه سورتان) . وتقول : (عليه دينٌ) ^(١) .

والآية الحادية والأربعون ، وهي التي ذكرت فيها (على) أثقل وأشقُّ من الآية الأخرى التي ذكرت فيها (إلى) ؛ لأنها رسالةٌ وتبليغٌ ، فقد ذكر أنها للناس ، ومن المعلوم أن التبليغ صعبٌ وعسيرٌ . ولم يقل : (للناس) في الآية الأخرى .

ثم قال في آية التبليغ : ﴿ فَمَنِ اهْتَكَيْتْ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا

(١) انظر : لسان العرب (علا) (١٩ / ٣٢١) .

يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿﴾ فهذه الآية رسالة . والآية الأخرى نبوة وهي خاصة به ، وليس فيها تبليغ ، فإنه قال فيها : ﴿ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ . فناسب كل تعبير موضعه .

١٦٧ - قال تعالى في سورة الزمر : ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الزمر : ٧٠] .

سؤال : لماذا قال أولاً : (ما عملت) ثم قال : (بما يفعلون) فذكر العمل أولاً ، ثم ذكر الفعل بعد ذلك ؟

ولماذا أخبر بالفعل الماضي أولاً ، فقال : (ما عملت) ثم أخبر بالمضارع بعد ذلك ، فقال : (بما يفعلون) ؟

الجواب : الفعل أعم من العمل ، فإنَّ العمل يكون بقصد ، وأما الفعل فيكون بقصد أو بغير قصد ، ويصدر عن العاقل وغيره ، من الإنسان والحيوان والجماد^(١) . وقد بدأت الآية بالعمل وختمت بالفعل ؛ ليدل على أنه سبحانه يعلم العمل والفعل كليهما ، ما فعل بقصد أو بغير قصد ، وسواء كان عن علم ، أم بدون علم .

أما الإخبارُ بالماضي في قوله : (بما عملت) ؛ فلأن ذلك جرى في ذكر أحوال الآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٦٩ - ٧٠] .

وأما الإخبارُ بالمضارع بعد في قوله : ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ ؛ فلأنه تقدم السياق في الكلام على الدنيا لذكر ما يحدث في الآخرة ، وذلك قوله

(١) انظر : مفردات الراغب (عمل) و (فعل) .

تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَنَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [١٧] وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ ﴿ [الزمر : ٦٧ - ٦٨] . فالتفت في قوله : ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ إلى السياق في الدنيا ، فذكر علمه بما يفعلون .

وإذا كان قوله : ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ إخباراً عن ماضي ، فيكون من باب حكاية الحال ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقُولُونَ أَنبِيََاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ [البقرة : ٩١] .

١٦٨ - قال تعالى في سورة فصلت : ﴿ حَقَّ إِذَا مَا جَاءَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٢٠] وَقَالُوا لِمَ لِيُجْلَدُوا لِمَ شَهِدْتُم عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [فصلت : ٢٠ - ٢١] .

سؤال : لماذا خص هؤلاء سؤال الجلود ، مع أن السمع والبصر شهدا عليهم أيضاً ؟

الجواب : إنَّ الجلود هي التي تذوق العذاب وينالها منه القسط الأكبر ، كما قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] . فاستغربوا أن تشهد الجلود مع أنها هي التي سينالها العذاب فسألوها لذلك .

جاء في (روح المعاني) : « قيل : إن ما تشهد به من الزنى أعظم جناية وقبحاً من جلب الخزي والعقوبة ، مما تشهد به السمع والأبصار من الجنايات المكتسبة بتوسطها . . . أو لأنها هي مدركة العذاب بالقوة المودعة فيها كما يشعر به قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ » ^(١) .

١٦٩ - قال تعالى في سورة الجاثية : ﴿وَلِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآيِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الجاثية : ٧ - ١١] .

سؤال : ما علاقته اختيار كل فاصلة بسياقها ؟

الجواب : الأفَّاك : الكثير الكذب ، والذي ينصرف من الحق إلى الباطل^(١) . الأثيم : الكثير الإثم المبالغ فيه . الرّجز : القدر مثل الرّجس ، والرّجز هو العذاب المقلقل لشدة وله قلقلة متتابعة ، والرّجز كالزلزلة^(٢) .

فذكر في الآية الأولى - أي السابعة - صفة من يستحق هذا العذاب ، بأنه أفَّاك كثير الكذب ، وينصرف من الحق إلى الباطل ، وأنه كثير الإثم مبالغ فيه . وبين له صفة أخرى ، وهي أنه يسمع آيات الله تنلى عليه ، ثم يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها إلى بقية الصفات الأخرى المذكورة في الآيات بعدها .

ولما ذكر في الآية الثامنة أنه يصرّ مستكبراً كأنه لم يسمع الآيات ، قال : ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لعله يسمع هذه البشري ، فقال : ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي أسمع هذه البشري ، وهي العذاب الأليم ، وهذا العذاب الأليم

(١) انظر : مفردات الراغب (أفك) ، القاموس المحيط (أفك) ، فتح القدير (٤ / ٥) .

(٢) انظر : لسان العرب (رجز) ، مفردات الراغب (رجز) .

يقمعُ استكباره الكاذب . وهذه البشري استهزاءً به يليق باستكباره ،
والجزاء من جنس العمل . وقال في الآية بعدها : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا
اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [الجاثية : ٩] ، والعذاب المهينُ مناسبٌ
لاستهانتِهِ واستهزائه بآياتِ اللَّهِ . والعذابُ المهينُ هو المشتملُ على
الإذلالِ والفضيحة^(١) .

جاء في (روح المعاني) : « وصف العذاب بالإهانة توفيةً لحقِّ
استكبارِهِم واستهزائِهِم بآياتِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ »^(٢) . وهذا العذابُ المهينُ
إنما هو واقعٌ في الدُّنيا والآخرة فعذاب الدنيا بالقتل والأسر ، ولهم عذاب
مهين في الآخرة ، يدلُّ على ذلك قوله سبحانه : ﴿ مِّن وَرَائِهِم جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي
عَنَّهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا ﴾ ، وقال في الآية بعدها : ﴿ مِّن وَرَائِهِم جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ
مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

فذكر أن لهم عذاباً عظيماً وهو أشدُّ العذابِ . وهو - كما قيل -
لا يدع جهةً من جهاتهم ، ولا زماناً من أزمانهم ، ولا عضواً من أعضائِهِم
إلا ملأه ؛ ذلك أنها في المشركين الذين اتخذوا من دُونِ اللَّهِ أولياءَ ، وهي
الأصنامُ والمعبوداتُ الباطلةُ .

ولما كان هؤلاء مشركين ؛ استحقوا أشدَّ العذابِ وأعظمه ، فناسب
العذابُ وصفَهُم . ثم قال بعدها : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ
أَلِيمٌ ﴾ . وهو العذابُ المقلقلُ لشِدَّتِهِ ، وله قلقلةٌ شديدةٌ متتابعةٌ^(٣) .

والرجزُ هنا كالزلزلة ؛ أي ولهم عذابٌ من الرِّجسِ والقذارةِ بليغٌ

(١) انظر : فتح القدير (٥ / ٤) .

(٢) روح المعاني (٢٥ / ١٤٣) .

(٣) انظر : لسان العرب (رجز) .

الإيلام متتابع ، ذلك أنهم كفروا بآيات ربهم ، والآيات متتابعة والرجز متتابع . ولما خصص الكفر بآيات ربهم خصص العذاب بأنه من رجز . ولما كانت الآيات متتابعة كان العذاب متتابعاً . فما أجل هذه المناسبات وأعظمها !

١٧٠ - قال تعالى في سورة الفتح : ﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح : ٩] .

سؤال : الضمائر في قوله : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ على من تعود ؟
أعلى الله أم على الرسول ﷺ ، وإذا كانت تعود على الرسول ﷺ ، فكيف يصح عطف (وتسبحوه) عليها والتسبيح لله ؟

الجواب : الضمائر كلها - كما هو الأولى والأظهر - تعود على الله .

فمعنى (عزّره) عظمه ونصره ، ومعنى التعزير النصّر باللسان والسيف^(١) . وعلى هذا فإن قوله : (تعزروه) يعني : تنصروه باللسان والسيف . قال تعالى : ﴿ إِنْ نَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧] .

ومعنى (توقروه) تعظّموه ، والتوقير معناه التعظيم^(٢) . قال تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح : ١٣] . أي ما لكم لا تخافون الله عظمة^(٣) . وعلى هذا فإن الضمائر تعود على الله وهو الأولى ؛ لثلاث يلزم فكّ الضمائر من غير ضرورة^(٤) . وجوز بعضهم أن يكون بعضها

(١) انظر : لسان العرب (عزّز) ، روح المعاني (٢٦ / ٩٦) .

(٢) انظر : لسان العرب (وقر) .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء (٣ / ١٨٨) ، لسان العرب (وقر) .

(٤) انظر : البحر المحيط (٨ / ٩١) ، روح المعاني (٢٦ / ٩٦) ، فتح القدير

لِلرَّسُولِ ﷺ^(١) . ولكن الأولى ما ذكرناه .

١٧١ - قال تعالى في سورة (ق) : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيِّسِ وَشَمُودُ ﴿١٧١﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٧٢﴾ وَأَصْحَابُ الْآيَةِ وَقَوْمُ تُيُوعُ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴿١٧٣﴾ [ق : ١٢ - ١٤] .

سؤال : ذكر (إخوان لوط) في الآية الثالثة عشرة ، ولم يرد مثل هذا التعبير مع غيره من الأنبياء . فلم يرد (إخوان هود) أو غيره ، فلم ذاك ؟

الجواب : إنَّ قومَ لوطٍ يختلفون عن بقية الأقسام جميعاً ؛ لأن معصيتهم إنما تخصُّ الرجالَ ، ذلك أنهم كانوا يأتون الرجالَ شهوةً من دون النساءِ ، وهذه خاصَّة بالرجالِ .

وكلمة (إخوان) هي للذكور ولا تشمل الإناث ، فلذلك جاء بها معهم خاصَّةً ، بخلاف معاصي أقوام الأنبياء الآخرين ، فإنها تعمُّ الرجال والنساء فيأتي بكلمة (قوم) معهم .

غير أنه يذكر قومَ لوطٍ حين يذكر العقوبة والهلاك . قال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ [الشعراء : ١٦٠] ثم ذكر هلاكهم وتدميرهم ، فقال : ﴿ فَنجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٦٢﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٦٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٦٤﴾ [الشعراء : ١٧٠ - ١٧٣] .

وذكر نحو ذلك في سورة هود ، فقال : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ

وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ [هود : ٧٤] ، ثُمَّ ذَكَرَ تَدْمِيرَهُمْ وَهَلَاكَهُمْ ،
فَقَالَ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ
مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨٢ - ٨٣] .
ونحو ذلك ورد في سورة القمر ، قال تعالى : ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالْأَنْذَرِ ﴿٣٢﴾ إِنَّا
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ [القمر : ٣٣ - ٣٤] إِلَى أَنْ يَقُولَ :
﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ [القمر : ٣٨ - ٣٩] فَبَانَ
الْفَرْقُ .

١٧٢ - قال تعالى في سورة المجادلة : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا
هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ
الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٦ - ٧] .

سؤال : قال تعالى في الآية الأولى : ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴾ ، بالفاء ،
وقال في الآية التي تليها : ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴾ بـ (ثم) ، فما السبب ؟

الجواب : إِنَّ الآية الأولى في يوم القيامة ، يدلُّ على ذلك قوله :
﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ فيكون النَّبِيُّ قَرِيبًا . فإن الفاء تدلُّ على التَّرتيبِ
والتَّعْقِيبِ .

أما الآية الأخرى فهي في الدنيا ، والكلامُ على من في الدنيا
وتناجيهم ، والنَّبِيُّ إِنَّمَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كما قال : ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا
يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ وهو متراخٍ عن الدنيا ، فجاء بـ (ثم) التي تدلُّ على التَّرتيبِ
والتَّراخي ، أي : المهلة .

١٧٣ - قال تعالى في سورة الطلاق : ﴿ وَأُؤْتِلُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ

يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَنْقِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ [الطلاق : ٤] .

وقال فيها أيضاً : ﴿ أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمِزْضِعْ لَهُ أُخْرَى ﴿٥﴾ لِيُنفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٦﴾ [الطلاق : ٦-٧] .

سؤال : قال سبحانه في الآية الأولى : ﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ ﴾ بالجمع (الأحمال) ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ ﴾ بالإنفراد (حمل) ، فلم ذاك ؟

الجواب : إِنَّ الآيتين كلتيهما في المطلقات ، غير أن الآية الأولى عامة ليس بينهن تفاوت ، فأولات الأحمال جميعاً أجلهن وضع الحمل .

وأما الآية الأخرى فأولات الأحمال متفاوتات من حيث مقدار الإنفاق عليهن ، فإنه بحسب سعة الزوج ، كما قال تعالى في السياق نفسه : ﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٧] . وهن متفاوتات أيضاً من حيث التوافق على الإرضاع أو التعاسر ونحوه كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمِزْضِعْ لَهُ أُخْرَى ﴾ [الطلاق : ٦] .

فالآية الأولى تعم جميع أولات الأحمال ، والثانية لا تعم الجميع ، بل بينهن اختلاف . فليست أولات الأحمال متساويات في ذلك ، بل هن متفاوتات من حيث مقدار الإنفاق عليهن ، ومن حيث التوافق على الإرضاع .

ولا شك أن هذه الحال أقل من العموم ، فهن لا يتقاضين نفقة

واحدةً ، وليست كلهن متفقات على الإرضاع . فلما اختلف الوضع وشمل بعضاً دون بعض ، جاء بالمفرد الذي هو أقل من الجميع في الدلالة .

إن الحالة الثانية مرتبطة بأمرين : حالة الزوج المادية ، والآخر رغبة الزوجة في الإرضاع وعدمه .

وأما الحالة الأولى فأمرٌ عامٌّ لا يعود إلى رغبة أي من الطرفين ، فهو عامٌّ يشمل الجميع فجمع لذلك . فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعه ، والله أعلم .

١٧٤ - قال تعالى في سورة التحريم : ﴿ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴾ [التحريم : ٣] .

سؤال : لماذا قال أولاً : ﴿ فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ ﴾ ، ثم قال بعد : ﴿ مَنْ أَنْبَاكَ ﴾ فاستعمل (نَبَأَ) أولاً ، ثم استعمل (أنبأ) بعد ؟

الجواب : إنَّ الفعل (نَبَأَ) يقتضي تنبيهاً أكثر من (أنبأ) ، كقولنا : (علِّم وأعلم) .

فلما عرَّف بعض الحديث وأعرض عن بعض ، كان كأنما ذكر قسماً من النبأ ، فقالت له : (من أنباك هذا) ؛ أي هذا الجزء منه . فذكر أن العليم الخبير نبأه به كله .

١٧٥ - قال تعالى في سورة الملك : ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ﴾ [الملك : ٢٠] .

وقال في سورة الكهف : ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِراً ﴾ [الكهف : ٤٣] .

وقال في سورة القصص : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ

فَتَنِي يَنْصُرُونِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانِ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ [الفصص : ٨١] .

سؤال : لماذا قال في سورة الملك : ﴿مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ ، وقال في آيتي الكهف والقصاص : ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ؟

الجواب : إِنَّ السِّيَاقَ فِي سُورَةِ الْمَلِكِ إِنَّمَا هُوَ فِي ذِكْرِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى النَّاسِ .

قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك : ١٥] . وقال : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِرٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ [الملك : ١٩] . وقال : ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ [الملك : ٢٠] ، وقال : ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُمْ﴾ [الملك : ٢١] ، وقال : ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الملك : ٢٣-٢٤] . فكان ذكرُ الرحمن هو المناسب ، فإن ذلك من مظاهر رحمته سبحانه .

أما السِّيَاقُ فِي سُورَتِي الْكَهْفِ وَالْقَصَصِ ، فَهُوَ فِي الْعُقُوبَاتِ . أَمَا فِي الْكَهْفِ فَإِنَّ السِّيَاقَ فِي مُحَاوَرَةٍ بَيْنَ كَافِرٍ وَمُؤْمِنٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَخَفَفْتَنَاهُمْ بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف : ٣٢] .

إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ۖ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف : ٣٥-٣٦] .

إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ ۖ فَاصْبَحَ يَقُودُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَتَّفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى

عُرُوشَهَا وَيَقُولُ يَلَيِّنُنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَمْ فِتْنَةً يَصُورُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾ [الكهف : ٤٢ - ٤٣] .

وكذلك السياق في القصص ، فإنه في سياق الخسف بقارون وبداره ، قال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَصُورُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص : ٨١] .

فالسِّيَاقُ في الموضوعين إنما هو في العقوبات لا في النعم والرحمة ، فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعه .

أما الاختلافُ بين ما وردَ في سورتي الكهف والقصص فقد ذكرناه في كتابنا (من أسرار البيان القرآني) في باب التشابه والاختلاف ، فلا نعيد القول فيه .

١٧٦ - قال تعالى في سورة الحاقة : ﴿ كَذَبَتْ ثُمُودُ عَادًا بِالْقَارِعَةِ ﴿١﴾ فَأَمَّا ثُمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٢﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٤ - ٦] .

سؤالٌ : لماذا قدّم ثمود على عادٍ مع أن عاداً أسبق من ثمود ؟

الجوابُ : إنّ التّقديمَ والتّأخيرَ قد يكونان بصورةً متعدّدةً ، فقد يكون التّقديم من القريب إلى البعيد أو من البعيد إلى القريب ، وقد يكون من القليل إلى الكثير أو من الكثير إلى القليل وغير ذلك .

وهاهنا بدأ بالأقرب إليهم وهو ثمود ، فإنه أقرب إليهم من عادٍ . وهذا هو السّمْتُ الظاهرُ في هذه السّورة ، فإنه يبدأ بالأقرب إليهم ، فقد قال : ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ [الحاقة : ٩] فذكر فرعون ، وذكر من قبله ، وذكر المؤتفكات وهي مدائن لوطٍ وهي الأقدم ، فبدأ بالأقرب .

وقال : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة : ١١] والكلامُ على نوح وهو أقدمُ من كلِّ المذكورين . ثم قال : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ ١٥ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿ ١٦ ﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿ ١٧ ﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿ ١٨ ﴾ [الحاقة : ١٣-١٦] . فبدأ بالأقرب إليهم وهي الأرض ثم السماء ، فذكر حملَ الأرض والجبالِ أولاً ، ثم ذكر بعدها انشقاقَ السماء .

في حين يبدأ بالسماء ثم الأرض في مواطن أخرى .

قال تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿ ١ ﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿ ٢ ﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿ ٣ ﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [الانشقاق : ١-٤] فبدأ بالسماء ، ثم ذكر الأرض بعدها . وقال : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿ ١ ﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿ ٢ ﴾ وَإِذَا الْيَحَاوُ فُجِرَتْ ﴿ ٣ ﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ [الانفطار : ١-٤] . فبدأ بالسماء ثم ذكر ما في الأرض . وقال : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿ ١ ﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿ ٢ ﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١-٣] . فبدأ بما في السماء ، ثم ذكر ما في الأرض .

على غير ما وردَ في سورة الحاقة ، حتى إنه قال في الحاقة : ﴿ فَلَا أَقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ ٢٨ ﴿ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الحاقة : ٣٨-٣٩] فبدأ بما يبصرُ وهو الأقرب إليهم ، ثم ما لا يبصرُ مما كان بعيداً ، أو له حالةٌ أخرى لا تبصرها العيون . فهذا التقديم والتأخير هو السَّمْتُ العامُّ لهذه السُّورة .

١٧٧ - قال تعالى في سورة المعارج : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤] .

وقال في سورة القدر : ﴿ نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ [القدر : ٤] بتقديم الملائكة على الروح .

وقال في سورة النبأ : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ : ٣٨] بتقديم الروح على الملائكة .

سؤال : لِمَ قَدَّمَ الملائكة على الروح في آيتي المعارج والقدر ، وقَدَّمَ الروح على الملائكة في آية النبأ ؟

الجواب : إِنَّ رَبَّنَا يَقْدُمُ الملائكة على الروح في الحركة والصعود والنزول والانتقال ؛ لأن ذلك أكثرُ فيهم من الروح . قال تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام : ٦] .

وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء : ٩٧] . وقال : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آدَمُ وَنُوحٌ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة : ٢٤٨] . وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت : ٣٠] .

أما في الوقوف والقيام فيقدم الروح ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ [النبأ : ٣٨] .

١٧٨ - قال تعالى في سورة المزمل : ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المزمل : ٩] .

وقال في سورة الرحمن : ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن : ١٧] .
وقال في سورة المعارج : ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ [المعارج : ٤٠] .

سؤال : المقصودُ بالمشرق والمغرب معلومٌ ، ولكن ما المقصودُ بالمشرقين والمغربين ، وبالمشارق والمغارب ؟

الجواب : قيل : إن المرادَ بالمشرقين والمغربين ، مشرقُ الصَّيفِ ومشرقُ الشَّتاءِ ، ومغرباهما ، فإنَّ كلَّ مشرقٍ تشرقُ فيه الشَّمْسُ مرتين في السَّنَةِ ، مرَّةً في الصَّيفِ ومرَّةً في الشَّتاءِ وكذلك كلُّ مغربٍ ، وهي تنتقلُ بين خطِّ الاستواءِ والمدارين . وقيل : المشرقان مشرقا الشَّمْسِ والقمرِ ، والمغربان مغرباهُما ^(١) .

وإن المقصودَ بالمشاركِ والمغاربِ مشارقُ الشَّمْسِ ومغاربها ، على تعددِ أيامِ السنة ، فإنها في كلِّ يومٍ تشرق من مشرقٍ وتغرب في مغربٍ ، أو مشارقُ الشَّمْسِ والقمرِ ، وقيل : مشارقُ الكواكبِ ومغاربها مطلقاً ^(٢) . وقد تقول : لقد قال في سورة الصَّافَاتِ : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [الصافات : ٥] فذكر المشارقَ ، ولم يذكرِ المغاربَ ، فما السَّبَبُ مع أنه ذكرهما في سورةِ المعارجِ ؟

والجواب : أنه قال في الصَّافَاتِ : (رب المشارق) ولم يذكرِ المغاربَ مناسبةً للآيةِ بعدها ، فقد قال : ﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ ﴾ [الصافات : ٦] ذلك أن الزينة إنما تكون في مشارقها لا في مغاربها . ولقوله أيضاً : ﴿ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ ^(٣) لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ^(٤) دُحُورًا ^(٥) [الصافات : ٧-٩] وقذفُ الشياطين إنما يكون في مشارقِ الكواكبِ لا في غروبها .

وأما قوله في المعارجِ : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴾ [المعارج : ٤٠] فهو مناسبٌ لما بعده ، وهو قوله : ﴿ عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [المعارج : ٤١] ذلك أن المعنى أنه يهلك هؤلاء ويفنيهم ، ويأتي

(١) انظر : روح المعاني (٢٧ / ١٠٥) .

(٢) انظر : روح المعاني (٢٩ / ٦٥) .

بغيرهم من هو خيرٌ منهم ، وإذهابهم وإهلاكهم أشبه بالغروب . والمجيء
بغيرهم إنما هو شروقٌ جليلٌ أفضلٌ منهم . فإذهابهم غروبهم ، ومجيء
غيرهم شروقٌ . فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعه .

١٧٩ - قال تعالى في سورة النبأ : ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴾

[النبأ : ٢٨] .

وقال في سورة البروج : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴾ [البروج : ١٩] .

سؤال : لِمَ قال في سورة النبأ : (كِذَاب) ، وقال في سورة
البروج : (تكذيب) ؟

الجواب : من معاني (الكِذَاب) التَّكْذِيبُ والكذبُ ، يقالُ :
(كَذَّبَ بِالْأَمْرِ تَكْذِيبًا وَكِذَابًا) و(كذب الرجلُ كِذَابًا)^(١) . وقد يستعمل
(الكِذَاب) للإفراط في التَّكْذِيبِ أو الكذب^(٢) . ومن النَّظَر في السِّيَاقين
تبيّن مناسبة اختيار كلٍّ من المصدرين .

قال تعالى في سورة النبأ : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢٦﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَابًا ﴿٢٧﴾
لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٨﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٩﴾ إِلَّا حِيمًا وَغَسَاقًا ﴿٣٠﴾ جَزَاءً
وِفَاقًا ﴿٣١﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٣٣﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ
أَخْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٣٤﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبأ : ٢٦ - ٣٠] ، وقال في
سورة البروج : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ [البروج : ١٧ - ٢٠] .

وقد ذكرنا أن من معاني (الكِذَاب) المبالغة في التَّكْذِيبِ والإفراط

(١) انظر : لسان العرب (كذب) .

(٢) انظر : الكشف (٣ / ٣٠٦ - ٣٠٧) .

فيه . وقد ذكر في سورة النبأ من الصِّفَاتِ ما زادَ على ما في البروج :

١ - فقد ذكر أنهم طاغون : ﴿لَلطَّغِينَ مَتَابَا﴾ .

٢ - وأنهم كانوا لا يرجون حساباً .

٣ - وأنهم كذبوا بآياتِ الله كِذَاباً .

٤ - وإن (كذاباً) في الآية إنما هو مفعولٌ مطلقٌ مؤكدٌ لفعله ، فأكد تكذيبهم بالمصدر المؤكد . ولم يقل في سورة البروج إلا قوله : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ .

فلما زاد في النبأ على ما في البروج من الوصفِ بالطَّغْيَانِ والتَّفْصِيلِ في الكفر ، جاء بالمصدر ما يدلُّ على المبالغة وأُكِّدَ به فعله (كذبوا) . فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعه وسياقه .

ومن لطيفِ السِّيَاقِ أنه لما قال في (البروج) : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ أي : ساقطون فيه ، وإن التَّكْذِيبَ محيطٌ بهم ناسب أن يقول : ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ . فالتَّكْذِيبُ محيطٌ بهم واللهُ محيطٌ بالجميع .

ومن لطيفِ الاستعمالِ للكِذَابِ أيضاً ، أنه قال في سورة النبأ : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغَوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ [النبأ : ٣٥] ولم يقل (ولا تكذيباً) أو (ولا كذباً) ؛ لأن الكِذَابَ يكون بمعنى الكذب وبمعنى التَّكْذِيبِ . فجمع المعنيين في التعبير ؛ أي : لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذَاباً ولا تكذيباً ، فنفى الكذب والتَّكْذِيبَ . وهو من لطيفِ التَّوسُّعِ في المعنى .

١٨٠ - قال تعالى في سورة النبأ في الكافرين : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا

وَلَا شَرَابًا ﴿١٨١﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿١٨٢﴾ جَزَاءً وَفَاقًا﴾ [النبأ : ٢٤ - ٢٦] .

وقال في المَّتَّقِينَ : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣٦﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٧﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٨﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٩﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٤٠﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٤١﴾ . [النبا : ٣٦ - ٤١] .

سؤال : لماذا قال في جزاء الكافرين : ﴿ جَزَاءً وَفَاقًا ﴾ . وقال في جزاء المَّتَّقِينَ : ﴿ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ ؟

الجواب : ذكر ربُّنا أن جزاء السيئة مثلها ، قال تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] . وقال : ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٦٠] . فلما كان الجزاء موافقاً لأعمالهم قال : ﴿ جَزَاءً وَفَاقًا ﴾ أي : على قدر أعمالهم .

وأما الحسنة فتجزئ بعشر أمثالها ، كما قال تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠] إلى أضعاف كثيرة ، كما قال ربُّنا : ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

فلما كانت أجورُ الحسنات تتضاعف ، قال ربُّنا : ﴿ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ . فذكر أنه عطاء من الربِّ سبحانه ، ثم قال (حساباً) أي : كافياً موفياً . فإن معنى (أحسب) كفى ، ومعنى (حساباً) كافياً ، يقال : (أحسبت الرجل) أي : أعطيته ما يرضى^(١) .

جاء في (روح المعاني) في قوله : ﴿ جَزَاءً وَفَاقًا ﴾ : « فالمراد جزاءً موافقاً لأعمالهم على معنى أنه بقدرها في الشدة والضعف ، بحسب استحقاقهم كما يقتضيه عدله وحكمته تعالى »^(٢) .

(١) انظر : لسان العرب (حسب) .

(٢) روح المعاني (٣٠ / ١٦) .

وجاء فيه في قوله : ﴿ جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴾ : « (عطاء) أي : تفضيلاً وإحساناً منه عزَّ وجلَّ ... (حساباً) صفةُ عطاءٍ بمعنى كافياً » (١) .

وجاء في (ملاك التأويل) : « إن الله سبحانه أعلمنا أنه يجازي على الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمئة ضعفٍ إلى ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطرَ على قلب بشرٍ ... وقال تعالى في الجزاء من السيئات : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ وقال : ﴿ إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فحصل من هذا أن حكم السيئاتِ المقابلةِ بأمثالها ...

وأما الجزاءُ الإحسانِيُّ فقد فاق الوفاق ، وعجز عن التَّقدير ، فلهذا أعقبَ قوله سبحانه : (جزاء) بما يشعر بجريانه على حكم الإنعام والإحسانِ فقال : (من ربك) وفي هذه الإضافة ما يشعرُ بعظيم الرحمةِ وزلفى القربِ بقوله : (من ربك) ثم قال : (عطاء) ...

ثم قال : (حساباً) فأشار إلى التَّضعيفِ المتقدِّم . ولم يكن ليلائم جزاء السيئة أن يقال : (من ربك) ولا لتسمي (عطاء) ولا (حساباً) » (٢) .

١٨١ - قال تعالى في سورة المطففين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين : ٢٩] .

وقال فيها : ﴿ فَأَلْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين : ٣٤] .

(١) المصدر السابق نفسه (٣٠ / ١٨ - ١٩) .

(٢) ملاك التأويل (٢ / ٩٤١ - ٩٤٢) .

سؤال : لماذا وصف الكفار بالإجرام أولاً ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ ، ووصفهم بعد ذلك بالكفر ، فقال : ﴿ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ ؟

الجواب : قال عنهم أولاً إنهم أجمعوا ؛ لأنهم اعتدوا على حقوق الآخرين بأن سخرخوا منهم ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٢٩﴾ [المطففين : ٢٩ - ٣٢] .

ثم ذكر حكمهم بعد ذلك ، فسمّاهم كفّاراً ، فإن هؤلاء كفّارٌ وقد وصفوا المؤمنين بالضلال : ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ فذكر حكمهم ؛ لئلا يظن أن هؤلاء مجرمون ليسوا كفّاراً .

وقد ذكر المؤمنين عموماً ، من الذين كان يضحك منهم وغيرهم . وذكر الكفار عموماً ؛ ليبين أن الضحك كان على الكفار عموماً من هؤلاء الذين كانوا يضحكون وغيرهم ، فالذين آمنوا على العموم ، يضحكون من الكفار على العموم ﴿ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ؟!

١٨٢ - قال تعالى في سورة الغاشية : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧] .

سؤال : لماذا خصّ الإبل بالذكر مع أن من الحيوانات ما يماثلها ، أو أعجب منها في الخلق ؟

الجواب : الحق أن الإبل أدعى إلى التأمل والنظر ، فإنها علاوة على أن العرب يستعملونها كلّ حين ، فإنها لا يماثلها حيوان في عظم جشتها ، وشدة قوتها ، وحمل الأوقار الثقيلة ، وإيصالها الأحمال الثقيلة إلى الأقطار البعيدة .

وفي صبرها على الجوع والعطش أياماً ، وربما يبلغ ذلك ثمانية أيام . ورعيها لكل ما يتيسر من شوكٍ وشجرٍ ، وغير ذلك ، وانقيادها للإنسان في الحركة والشكوى والبروك والنهوض . ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير ، وفي تأثرها بالصوت الحسن وهو الحداء .

وخصت بالذكر ؛ لأنها أعجب ما عند العرب . وهي علاوة على ما ذكر يؤكل لحمها ويحلب دُرُّها ، ويستفاد من أوبارها .
وقيل : إن الفيل أعظم في الأعجوبة .

والحق ليس كذلك ، فإن الفيل لا يؤكل لحمه ولا يركب ظهره من غير مشقة في ترويضه ، ولا يُحلب دُرُّه ، وليس له صوفٌ أو شعرٌ أو وبرٌ يستفاد منه .

ولا يحمل الأوقار الثقيلة في الأسفار البعيدة ، ولا غير ذلك مما اختصت به الإبل^(١) .

١٨٣ - سؤال : هل كان إبليس من الملائكة ، وإذا لم يكن من الملائكة ، فلماذا عاقبه الله على عدم السجود لآدم ، مع أن الملائكة هم الذين أمروا بالسجود له ؟

الجواب : إن إبليس ليس ملكاً ، ولم يكن من الملائكة ، وإنما هو من الجن ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [الكهف : ٥٠] .

والجن ليسوا من الملائكة ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيعَاتٍ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِنَّا كُرْهُمُكَ أَتَوْا يُعْبَدُونَ ﴾ [١٠] قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ

كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ [سبا : ٤٠ - ٤١] .

أما سبب عقوبته له ، فإن الله أمره هو حين أمر الملائكة ، فقد أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم ، وأمره هو على الخصوص أن يسجد معهم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف : ١٢] فقد أمره هو . فقد كان إبليس مأموراً بالسجود مع الملائكة ، فكانت معصيته واستكباره عن أمر ربه سبب لعنته ، والله أعلم .

١٨٤ - سؤال : قد يذكر ربنا في القرآن (الإنسان) نحو قوله :

﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٤] .

وأحياناً يذكر (البشر) ، وذلك نحو قوله : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [إبراهيم : ١٠] وقوله : ﴿ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الأنبياء : ٣] . وأحياناً يذكر (بني آدم) ، كقوله تعالى : ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ ﴾ [الأعراف : ٢٧] . فما الفرق بين (الإنسان) و (البشر) و (بني آدم) ؟

الجواب : الإنسان خلاف الجن ، والأنس خلاف الثفور ، والإنسان لا قوام له إلا بأنس بعضهم ببعض ، ولا يمكن أن يقوم وحده بجميع أسبابه^(١) . ويقال : (أنست به) وهو خلاف الوحشة .

وقيل : إن الإنسان من الظهور ، وأصل الإنسان من الإناس وهو الإبصار ، يقال : آنس الشيء ؛ أي أحسّه وأبصره .

وقيل للإنس : إنس ؛ لأنهم يؤنسون ؛ أي : يبصرون ، كما قيل للجن : جن ؛ لأنهم لا يؤنسون ؛ أي : لا يبصرون^(٢) . قال تعالى :

(١) المفردات للراغب (أنس) .

(٢) انظر : لسان العرب (أنس) .

﴿أَنسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصص : ٢٩] أي : أبصر . وقيل : هو من النسيان^(١) .

وجاء في (الفروق اللغوية) : « إن الإنسي يقتضي مخالفة الوحشي . . . والإنسان يقتضي مخالفته البهيمية ، فيذكرون أحدهما في مضادة الآخر ، ويدل على ذلك أن اشتقاق الإنسان من النسيان وأصله (إنسيان) .

والنسيان لا يكون إلا بعد العلم فسمي الإنسان إنساناً ؛ لأنه ينسى ما علمه . وسميت البهيمة بهيمة ؛ لأنها أبهمت على العلم والفهم ، ولا تعلم ولا تفهم فهي خلاف الإنسان ، والإنسانية خلاف البهيمية في الحقيقة ؛ وذلك أن الإنسان يصح أن يعلم إلا أنه ينسى ما علمه . والبهيمة لا يصح أن تعلم »^(٢) .

وأما (البشر) فهو من البشرة ، والبشرة « ظاهر الجلد ، وعبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلدة من الشعر ، بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر .

وخصّ في القرآن في كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر ، نحو : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ﴾ وقال : ﴿ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾ .

ولما أراد الكفار الغض من الأنبياء اعتبروا ذلك فقالوا : ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ ، ﴿ أَبَشَرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَبَعَهُ ﴾ ، ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ .

(١) المفردات للراغب (أنس) ، لسان العرب (أنس) .

(٢) الفروق اللغوية (٢٩١ - ٢٩٢) .

وعلى هذا قال : ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ تنبيهاً أن الناس يتساوون في البشرية ، وإنما يتفاضلون بما يختصُّون به من المعارفِ الجليلة والأعمال الجميلة ؛ ولذا قال بعده : ﴿ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ تنبيهاً أنني تميزت عنكم بذلك ^(١) .

ومن الملاحظ في القرآن الكريم أنه إذا أراد وصف الإنسان بصفات مما طبع عليها ، أو غير ذلك من الصفات المتميز بها جاء بلفظ (الإنسان) ولم يأت بلفظ (البشر) مما يباعده عن البهيمة .

فقد يصفه بالكفر أو العجلة أو الظلم أو الجدل ، أو أن يسأله سؤالاً للتبكي أو الاتعاض أو نحو ذلك ، أو أن يناديه لغرض ما ، فإنه يناديه بلفظ الإنسان وليس بلفظ البشر ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَيَبْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء : ١١] . وقوله : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٦٧] . ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٠] . ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٤] . ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِحَانِهِ ﴾ [الإسراء : ٨٣] . ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] . ﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة : ٣٦] . ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ ﴾ [الانشقاق : ٦] . ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الأنفطار : ٦-٧] . ولم يأت بنحو ذلك بلفظ (البشر) .

وإنما يأتي بلفظ (البشر) لإثبات المماثلة وأنهم متساوون ، ولما

(١) المفردات للراغب (بشر) .

ليس فيه أنصافٌ بشيءٍ من مميزات الإنسان .

قال تعالى : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ ﴾ [المائدة : ١٨] . ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ۚ ﴾ [إبراهيم : ١٠] . ﴿ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ ۚ ﴾ [الأنبياء : ٣] . ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣٤] . ﴿ أَبَشَرًا مِّثْنًا وَاحِدًا نَنْبَعُهُ ۚ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر : ٢٤] ونحو ذلك .

وأما التعبير بـ (بني آدم) فإنه يستعمله في مقام التذكير بأبيهم ، وما وقع له مع إبليس ، فيحذرهم مما أوقع أباهم فيه ، أو في مقام التكريم كما كرم أباهم وأسجد له ملائكته .

قال تعالى : ﴿ يَبْنِيْٓءَ آدَمَ لَا يَفِيْنَنَّاكُمْ الشَّيْطٰنُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهْمًا ۚ إِنَّهُمْ يَرْتَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ ﴾ [الأعراف : ٢٧] . وقبلها : ﴿ يَبْنِيْٓءَ آدَمَ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ الْتَقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ﴾ [الأعراف : ٢٦] . وبعدها : ﴿ يَبْنِيْٓءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايٰتِيْ فَمَنْ أَتَقٰى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ ﴾ [الأعراف : ٣٥] ، وكلها في سياق آدم وإبليس وإخراجه من الجنة .

ونحو ذلك قوله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنِيْٓءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطٰنَ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ ۚ ﴾ [يس : ٦٠] .

ومن ذكره في مقام التكريم : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيْٓءَ آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبٰتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيْرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيْلًا ۚ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

فناداهم بني آدم لتذكيرهم بما حصل مع أبيهم ، أو تكريمهم كما كرم أباهم ، وتحذيرهم من أن يقعوا في حبال الشيطان ومن المعصية .

١٨٥ - سؤال : في مواضع من القرآن الكريم يعبر بـ (القرية) عن المكان ، وأحياناً يعبر عنه بـ (المدينة) ، وهما موضع واحد . وذلك كما في قوله تعالى في سورة يَس : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس : ١٣] ، وقوله فيها أيضاً : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ [يس : ٢٠] .

وكذلك في قصة لوط ، فقد قال فيهم في سورة الحجر : ﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الحجر : ٦٧] ، وقال في العنكبوت فيهم : ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [العنكبوت : ٣٤] فما الفرق ؟ وما السبب ؟

الجواب : إنَّ لفظ (المدينة) من (مدن) إذا أقامَ بالمكان^(١) . وأما (القرية) فهي المصْرُ الجامع^(٢) ، والقرية الضيعة ، وكلُّ مكانٍ اتَّصلت به الأبنية واتخذ قراراً . وتقع على المدنِ وغيرها^(٣) .

وفي (روح المعاني) في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ أنه عبر بالمدينة بعد التَّعبير بالقرية إشارة إلى السَّعة^(٤) .

وعلى هذا لا منافاة بين القرية والمدينة ، غير أن المدينة تقال لما اتَّسع ، والقرية تقال فيها وفيما هو أقلُّ سعةً كالضيعة ، فالتَّعبيرُ بالمدينة بعد التَّعبير بالقرية إشارة إلى أنها متسعة وليست صغيرة . لهذا من ناحية .

(١) لسان العرب (مدن) .

(٢) المصدر السابق نفسه (قرا) ، القاموس المحيط (القرية) .

(٣) المصباح المنير (قريت) .

(٤) روح المعاني (٢٢ / ١٢٦) .

ومن ناحيةٍ أخرى أن ربَّنَا إذا ذكر الهلاك جاء معه بلفظ (القرية) ،
وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾
[الحجر : ٤] .

وقوله : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٠٨] ، وقوله :
﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [الإسراء : ١٦] . وقوله : ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ
إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفَيْكَةِ ﴾ [الإسراء : ٥٨] وغيرها . وذلك أنها
تعد دار إقامةٍ فعبر عنها بالقرية .

١٨٦ - سؤال : يقول ربَّنَا في مواضع : ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ فيصفه
بالعظمة . وفي موضع يقول : ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ فيصفه بالكبر . وفي
موضع آخر يقول : ﴿ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ فيصفه بأنه ظاهرٌ واضحٌ . فما
الفرق ؟

الجواب : أعلى الأوصاف للفوز ما كان بالعظمة ، يليه الوصف
بالكبر ، يليه الوصف بأنه مبينٌ .

وإيضاح ذلك أنه يصف الفوز بأنه مبينٌ في صرف العذاب ، أو
الإدخال في رحمته ، ولم يذكر إدخالهم الجنة ، وذلك في موضعين من
القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ١٥ ﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾
[الأنعام : ١٥ - ١٦] .

وقال : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ [الباقية : ٣٠] .

ولا شك أن إدخال الجنة أعلى من مجرد صرف العذاب أو ذكر
الرحمة على العموم ، وإن كان المقصود بها الجنة .

وأما وصفُ الفوزِ بأنه كبيرٌ فذلك في موطن واحدٍ وهو قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ [البروج : ١١] . فذكر أن لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ .

وأما الوصفُ بأنه عظيمٌ ، فإنه يزيد على ذلك في الجزاء إما بذكر الخلود ، أو إدخال الجنة ، مع ذكر المساكن الطيبة ، ونحو ذلك .

قال تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٩] .

فقد زاد على آية البروج أنهم خالدون أبداً ، وأنه رضي الله عنهم ورضوا عنه . ولا شك أن هذا أعلى مما ذكر في آية البروج .

وقال : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٧٢] .

وقال : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٨] وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [غافر : ٨ - ٩] .

فقد ذكر إدخال الجنة مع الآباء والأزواج والذريات ووقاية السيئات . فوصفه بالعظمة .

فالوصفُ بالعظمة أعلاهن ، ثم الوصفُ بالكبر ، ثم بأنه مبین .

١٨٧ - سؤال : يقول ربنا في آيات : ﴿ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ بذكر الواو بعد همزة الاستفهام . ويقول في آيات أخرى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي

الْأَرْضِ ﴿ بذكر الفاء بعد الهمزة ، فما الفرق بينهما ؟

الجواب : الواو تفيد مطلق الجمع .

أما الفاء فهي قد تفيد السبب ، فإذا كان ما قبلها سبباً يدعو لما بعدها ، وكان ما بعدها مبنياً على ما قبلها عطف بالفاء ، وإلا عطف بالواو .

وإيضاح ذلك ما ورد في قوله سبحانه : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [يوسف : ١٠٩] ، فقد قال قبلها : ﴿ أَفَأَمْنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ... وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... ﴿ [يوسف : ١٠٧-١٠٩] فإن ذلك مدعاة إلى التأمل والتدبر والنظر .

فقد جاءت من قبلهم غاشية من عذاب الله ، بل غواشٍ كثيرة ، أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذابه ، أفلم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، ممن جاءتهم الغاشيات !!

ألا يكون ذلك سبباً كافياً للاعْظا ؟ فإنه لا يردُّ بأسه عن القوم المجرمين ، أفلم يسيرا في الأرض فينظروا ؟ ! فالسِّيَاق يستدعي المجيء بالفاء .

ونحو ذلك قوله تعالى في سورة الحج : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] فإنه جاء بالفاء ؛ لأنه مبنئ على ما قبله ، واستدلال به ، فقد قال قبل هذه الآية : ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿١٦﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿١٧﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى

فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١١﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مُعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴿١٢﴾ [الحج : ٤٢ - ٤٥] . ثم قال بعد ذلك : ﴿ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا... ﴾ [الحج : ٤٦] فما قبلها سبب يدعو للسَّير والنَّظَرِ والاتِّعَاطِ .

في حين قال في سورة الروم : ﴿ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلِّمَهُمُ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم : ٩] .

فقد جاء بالواوِ ذلك أن قبلها : ﴿ أَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ [الروم : ٨] ، فالواو كما ترى هنا لمطلق الجمع ، وليس ما قبلها سبباً لما بعدها كما مرَّ فيما سبق .

ونحو ذلك قال تعالى في سورة غافر : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ [غافر : ١٩ - ٢١] .

فجاء بالواوِ لمطلق الجمع ، وليس ما قبل الآية سبباً لما في الآية .
فناسب كلُّ تعبيرٍ موضعه الذي ورد فيه .

١٨٨ - سؤال : قال الله سبحانه في سورة الصَّافَاتِ في قسم من الأنبياء أنه ترك عليهم في الآخرين سلاماً . فقد قال في نوح : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ

فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾
[الصافات : ٧٨ - ٨٠] .

وكذلك قال في إبراهيم وموسى وهارون وإلياس ، ولم يقل مثل ذلك في لوط ويونس . فلماذا ؟

الجواب : أما يونس عليه السلام فإنه ذكر عنه عدم الأولى من فعله ، فقد قال عنه : إنه أبق إلى الفلك المشحون ، فالتقمه الحوت وهو مليم ؛ أي أتى بما يلام عليه . وقال فيه : ﴿ فَبَدَّلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ [الصافات : ١٤٠ - ١٤٥] .

فلا يناسب أن يقول : (وتركنا عليه في الآخرين . سلام على يونس) ؛ لأنه ذكر المؤاخذات عليه .

وأما لوط فإن قومه كانوا يفعلون فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين ؛ وهي فاحشة يستحي من ذكرها ، فلا تكاد تذكر ؛ لأن الناس يخجلون من ذكرها فلا يذكر لوط بذكرها .

ثم إن لوطاً لم يؤمن به أحد من قومه غير أهل بيته ، فلم ينج من قومه أحد فيذكروه بعد ذلك ، وعلى ما نعلم أنه لم ينج معه إلا ابتاه .

ثم إنه قد دخل كل من يونس ولوط في قوله : ﴿ وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ١٨١] . فدخلوا في سلام الله مع إخوانهم المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

١٨٩ - سؤال : يرد في القرآن الكريم ذكر المسيح ، والمسيح

ابن مريم ، والمسيح عيسى ابن مريم . كما يرد ذكر عيسى ابن مريم أو ابن مريم من دون ذكر المسيح . فما الفرق ؟

الجواب :

١ - كل ما ورد فيه ذكر (المسيح) إنما هو في مقام تصحيح العقيدة ، أو في مقام المدح والثناء عليه . وليس في سياق ذكر الرسالة أو إيتائه البيّنات أو التكليف .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ١٧] .

وقال : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة : ٧٢] . وقال : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة : ٣١] . وقال : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] . وهي كما ترى في تصحيح العقيدة واتخاذ المسيح إلهاً .

وقال : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٥ - ٦١] . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصّٰلِحِينَ ... ﴾

وقال : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١] . وهي في مقام الثناء عليه ، وتصحيح العقيدة .

٢ - لم يذكر (ابن مريم) في مقام التكليف وإيتائه البيّنات ، وإنما في مقام الثناء عليه . قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون : ٥٠] .

وقال : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [٥٧] وَقَالُوا يَا إِلَهُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿ [الزخرف : ٥٧ - ٥٩] . وهو كما ترى في مقام الثناء عليه .

٣ - أما ذكر (عيسى) فهو عام :

أ - يرد في سياق التَّكْلِيفِ وإيتائه البَيِّنَاتِ ، ولم يأتِ التَّكْلِيفُ إلا مع اسمه العَلَمِ : (عيسى) .

ب - ويرد في سياق الثَّناء عليه .

ج - ولم يرد نداؤه إلا باسمه العَلَمِ : (عيسى) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة : ٨٧] . وقال : ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

وقال : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : ٤٦] . وقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ [الصف : ٦] .

وقال : ﴿ كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [الصف : ١٤] ، وقال : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ ﴾ [الزخرف : ٦٣] . وقال : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٥٢] ، وهي في سياق إيتائه البَيِّنَاتِ وفي سياق التَّكْلِيفِ .

وقال : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَلَدَتِكَ إِذْ

أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ [المائدة : ١١٠] .

وقال : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد : ٢٧] .

وقال : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ
عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [المائدة : ١١٢] .

وقال : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾
[المائدة : ١١٤] . وهي في سياقِ الثَّناءِ عليه والنداءِ .

١٩٠ - سؤال : ما الفرق بين الأجر والرزق ؟

الجواب : الأجرُ قد يكونُ هو الجِزَاءُ على العملِ ، ويقال فيما كان
عُقْدَ ، وما يجري مجرى العقد^(١) .

أما الرزقُ فقد يستعملُ للنَّصِيبِ ، ويستعملُ للقوتِ الذي يتغذى به
البدنُ ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾
[هود : ٦] .

وقال : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾
[العنكبوت : ٦٠] . ولا يصحُّ أن يقال في هذا : أجرٌ .

وقد يستعملُ الرزقُ للمطرِ ، قال تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
رِزْقًا ﴾ [غافر : ١٣] ، وله استعمالاتٌ أخرى^(٢) .

(١) انظر : مفردات الراغب (أجر) .

(٢) انظر : مفردات الراغب (رزق) .

١٩١ - سؤال : ما الفرق بين (يا ويلنا) و (يا ويلتنا) ؟

الجواب : الويل معناه الهلاك والعذاب ، قال تعالى : ﴿ وَيَلَّ لِلْمُطَفِّينَ ﴾ [المطففين : ١] ، وقال : ﴿ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٤] . وقال : ﴿ يَوَيْلَنَا مِنْ بَعَثَانَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ [يس : ٥٢] .

أما الويلة فهي الفضيحة^(١) والخزي ، قال تعالى : ﴿ قَالَتْ يَوَيْلَتِي إِلَهُ دُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ [هود : ٧٢] . أي : يا للفضيحة .

وقال : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ [الكهف : ٤٩] .

وذلك أنه لما رأوا فيه أعمالاً مخزية ، وفضائح لا يحبون أن يطلع عليها أحد ، وقد رأوها مدونة في الكتاب ؛ قالوا : (يا ويلتنا) أي : يا للفضيحة والخزي .

١٩٢ - سؤال : ما الفرق بين البعل والزَّوج ؟

الجواب : البعل : هو الذَّكَرُ من الزوجين ، وهو من الاستعلاء ؛ لأنه المستعلي على المرأة والقائم عليها .

والبعل : هو المالك والرئيس ، وسمي زوج المرأة بعلاً ؛ لأنه سيدها . وقيل للأرض المستعلية على غيرها بعلاً ، وسميت الأرض المرتفعة بعلاً ، وقيل لفحل النخل بعلاً .

وسمي به كلُّ مستعلٍ على غيره ، فسمى العربُ معبودهم بعلاً ، وهو

(١) انظر : لسان العرب (ويل) .

الذي يتقربون به إلى الله^(١) .

وأما الزوجُ : فيقال لكل من القارين من الذكر والأنثى ، فالرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل ، ويقال لكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً كالخفِّ والتعل^(٢) .

والأزواج هم القرناء والنظراء والأمثال ، قال تعالى : ﴿ أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [الصفات : ٢٢] أي : أمثالهم ونظراءهم في العمل : أصحاب الربا مع أصحاب الربا ، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر^(٣) .

وقال : ﴿ وَآخَرُ مَنْ شَكَّلَهُ أَزْوَاجٌ ﴾ [ص : ٥٨] أي أجناس^(٤) .

١٩٣ - سؤال : ما الفرق بين القسط والعدل ؟

الجواب : القسط هو الحصّة والنصيب ، تقول : ليأخذ كل واحد قسطه ؛ أي : نصيبه^(٥) .

ولذا لم يستعمل القرآن في الوزن إلا القسط ، قال تعالى : ﴿ وَيَقُومُوا أَوْفُوا أَلْمِزَاتِ وَالْمِيزَاتِ بِالْقِسْطِ ﴾ [هود : ٨٥] . وقال : ﴿ وَأَقِيمُوا أَلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾ [الرحمن : ٩] .

أما (العدل) فهو المساواة ، فبالفتح أي : العدل هو في الأحكام

(١) انظر : لسان العرب (بعل) ، مفردات الراغب (بعل) .

(٢) انظر : مفردات الراغب (زوج) ، لسان العرب (زوج) .

(٣) انظر : روح المعاني (٢٣ / ٧٩) .

(٤) انظر : روح المعاني (٢٣ / ٢١٥) .

(٥) انظر : لسان العرب (قسط) .

وما لا يبصر . والعِدْلُ (بكسر العين) والعديلُ فيما يدرك بالحاسة ، كالموزونات والمعدودات والمكيلات^(١) . تقول : (هذا عدلٌ هذا) .

قال تعالى : ﴿ وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الطلاق : ٦٥] ولا يصح : ذوي قسط .

وقال : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ... عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ [المائدة : ٩٥] .

فقال : ﴿ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ بالفتح ؛ لأن الصيام لا يبصر بالحاسة .

١٩٤ - سؤال : ما الفرق بين قوله تعالى : ﴿ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ و ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ ؟

الجواب : معنى (وقع القول) : حصل وحلّ ، والمراد بـ (القول) ما نطق من الآيات الكريمة بمجيء الساعة ، وما فيها من فنون الأهوال ، وقد يراد بالوقوع دُنُوُّه واقترابه^(٢) .

فمعنى ﴿ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ : حلّ بهم العذاب وحصل ما ذكره القرآن من مجيء الساعة وأهوالها .

وأما (حق القول) فمعناه : ثبت لهم العذاب ووجب ، وإن لم

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن (عدل) .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود (٥ / ٣٠٨) ، روح المعاني (١٥ / ٤١ ، ١٥٣) ، فتح القدير (٥ / ٢٧٧) .

يكن قد وقع . قال تعالى في قريش : ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيَّ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس : ٧] .

وقد يكون العذاب في الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] .

فقوله : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ قد يكون ذلك في الدنيا أو في الآخرة .

وأما قوله : ﴿ وَقَعَ الْقَوْلُ ﴾ فلم يرد في القرآن إلا في الآخرة أو قبيل الساعة .

وقد ورد هذا التعبير في موطنين من القرآن الكريم ، وهما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٢] . وهذا حين مشارفة الساعة وظهور أشراطها ، وحين لا تنفع التوبة ^(١) . وقوله : ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ [النمل : ٨٥] . وهذا في الآخرة . فقوله : ﴿ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم ﴾ أقرب إلى الحصول من ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ .

١٩٥ - سؤال : ما الفرق بين الوفاة والموت ؟

الجواب : الوفاة تأتي بمعنى الموت ، وتأتي بمعنى النوم ^(٢) .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾

(١) انظر : الكشف (٥ / ١١٠) .

(٢) انظر : مفردات الراغب (وفى) ، لسان العرب (وفى) .

فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٤٢﴾ [الزمر : ٤٢] .

وقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام : ٦٠] . فسمى النوم توفياً .

جاء في (مفردات الراغب) : « وقد عبّر عن الموتِ والنَّومِ بالتوفي ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾ » ^(١) .

وجاء في (لسان العرب) : « وأما توفي النائم فهو استيفاء عقله وتمييزه إلى أن ينام » ^(٢) .

وأما الموتُ فهو نقيضُ الحياة ^(٣) . جاء في (روح المعاني) في قوله : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ : « ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ أي : يقبضها عن الأبدان ؛ بأن يقطع تعلقها تعلق التصرف فيها عنها . ﴿ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ أي : في وقت موتها ﴿ وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ بأن يقطع سبحانه تعلقها بالأبدان تعلق التصرف فيها عنها أيضاً .

فتوفي الأنفس حين الموتِ وتوفيها في وقتِ النَّومِ بمعنى قبضها عن الأبدانِ ، وقطع تعلقها بها تعلق التصرفِ . إلا أن توفيها حين الموتِ قطع تعلقها بها تعلق التصرفِ ظاهراً وباطناً ، وتوفيها وقت النَّومِ قطعٌ لذلك ظاهراً فقط ، وسلبُ الحركاتِ الاختياريةِ وغيرها » ^(٤) .

(١) مفردات الراغب (وفي) .

(٢) لسان العرب (وفي) .

(٣) المصدر السابق نفسه (موت) .

(٤) روح المعاني (٢٤ / ٧) .

وجاء في (روح المعاني) في قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ ﴾ « حيث لا تميزون ولا تتصرفون كما أن الموتى كذلك »^(١) .

وقد استعمل القرآن الموتَ عاماً في الإنسان والحيوان والنبات . قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] .

وقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ [البقرة : ٢٦٠] . فاستعمل الموت للطير .

واستعمله للأرض ، فقال في آياتِ عَذَّةٍ : ﴿ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

وقال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ ٤٨ لِنُخْشِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا [الفرقان : ٤٨ - ٤٩] . ولم يستعمل التَّوْفِي إلا للإنسان .

١٩٦ - سؤال : ما الفرق بين العذاب والعقاب والنكال ؟

الجواب : العذاب هو الألم الثقيل والإيجاع الشديد جزاءً كان أو لا ، وسواء كان صاحبه مستحقاً أم غير مستحق^(٢) . والعقاب جزاء الشر^(٣) ، وينبئ عن استحقاق . وسمي بذلك لأن الفاعل يستحقه عقيب فعله^(٤) .

(١) المصدر السابق نفسه (٢٤ / ٧) .

(٢) انظر : الفروق اللغوية (٢٥٣) ، المفردات في غريب القرآن (عذب) ، الكليات (٦٥٤) .

(٣) انظر : الكليات (٦٥٣) .

(٤) الفروق اللغوية (٢٥٣) .

جاء في (لسان العرب) : « العقابُ والمعاقبةُ أن تجزي الرجلَ بما فعل سوءاً . والاسمُ العقوبةُ . وعاقبه بذنبه معاقبةً وعقاباً : أخذه به »^(١) .

وأما النكالُ فهو العقوبةُ الرَّادعةُ للغيرِ ، إذا رآه خاف أن يعملَ عمله . جاء في (لسان العرب) : « النكلُ اسمٌ لما جعلته نكالاً لغيره إذا رآه خاف أن يعملَ عمله . . . نكلَ به تنكيلاً إذا جعله نكالاً وعبرةً لغيره . ويقالُ : نكلت بفلانٍ إذا عاقبته في جرمٍ أجرمه عقوبةً تنكّل غيره عن ارتكابِ مثله »^(٢) .

١٩٧ - سؤالٌ : ما الفرق بين الغنى والثروة ؟

الجواب : الثروة كثرةُ العددِ من النَّاسِ والمالِ ، يقال : ثروةُ رجالٍ وثرروةُ مالٍ .

والثَّراءُ المالُ الكثيرُ . وثراؤُ الله القومَ ؛ أي : كَثَرهم . وثرا القومُ كَثُرُوا ونموا . ويقال : مالٌ ثريٌّ ؛ أي : كثيرٌ^(٣) .

وأما الغِنى فهو ضدُّ الفقرِ . والغنىُّ الذي لا يحتاجُ إلى أحدٍ في شيءٍ وهو الغنىُّ المطلق ، وذلك هو الله وحده . أو قلَّةُ الحاجةِ إلى الشيءِ . واستغنى عن الشيءِ لم يلتفت إليه^(٤) .

(١) لسان العرب (عقب) .

(٢) المصدر السابق نفسه (نكل) .

(٣) انظر : لسان العرب (ثرا) .

(٤) انظر : لسان العرب (غنا) ، المفردات في غريب القرآن (غني) .

١٩٨ - سؤال : ما الفرق بين الأبناء والأولاد ؟

الجواب : (الأبناء) جمع ابن وهو الذكر خاصة . قال تعالى : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [البقرة : ٤٩] .

أما (الأولاد) فجمع ولد وهو عام ، يقال للذكر والأنثى . قال تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء : ١١] .
والوصية للجميع .

وقال : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .
والإرضاع لا يختص بالذكور أو الإناث .

١٩٩ - سؤال : ما الفرق بين الخوف والخشية والوجل ؟

الجواب : قيل : إن « الخوف توقعُ مكروهٍ عن أمارَةٍ مظنونَةٍ أو معلومةٍ »^(١) .

« والخشية خوفٌ يشوبه تعظيمٌ ، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ؛ ولذلك خصَّ العلماء بها في قوله : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر : ٢٨] »^(٢) .

وقيل : الخشية أشدُّ الخوفِ وأعظمه . وقيل : ربما قيل : خشيت بمعنى علمت^(٣) .

(١) مفردات الراغب (خوف) .

(٢) المصدر السابق نفسه (خشي) .

(٣) المصباح المنير (خشي) .

قال تعالى في آل عمران : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[آل عمران : ١٧٥] .

وقال : ﴿ أَلْيَوْمَ يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ ﴾

[المائدة : ٣] .

فذكر الخوف في آل عمران ؛ ذلك أنه في سياق توقع مكروه ، فهي في سياق القتال . قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿٧٦﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دَارِهِمْ فَأَخْلَفَ اللَّهُ بَعْثَ خُذْلَاجَ بْنِ الْوَلَدِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَافَقَهُمْ وَكَانَ صِدْقًا وَقَالُوا لَا مَوْلَىٰ سِوَا اللَّهِ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٧﴾ فَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ فَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْبُدُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مُخِيبُ الْوَعْدِ وَالْعَاقِلُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ - ١٧٥] .

وليس السِّبَاق في المائدة في مثل ذلك .

وقال تعالى مخاطباً موسى ﷺ : ﴿ فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ [طه : ٧٧] .

فذكر الخوف في قوله : ﴿ لَا تَخَافُ دَرَكًا ﴾ وعطف عليه الخشية ، فقال : ﴿ وَلَا تَخْشَى ﴾ ، قيل : إن المعنى « لا تخاف أن يدرككم فرعون وجنوده من خلفكم . ولا تخشى أن يغرقكم البحر من قدامكم . . . والخشية أعظم الخوف ، وكأنه إنما اختيرت هنا لأن الغرق أعظم من إدراك فرعون وجنوده لما أن ذلك مظنة السلامة . ولا ينافي ذلك أنهم إنما ذكروا أولاً ما يدل على خوفهم من حيث قالوا : (إنا لمدركون) ؛ ولذا سُورِعَ في إزاحتِهِ بتقديم نفيه ^(١) .

(١) روح المعاني (١٦ / ٢٣٦ - ٢٣٧) .

وأما الوجَلُ فهو الفزعُ والخوفُ^(١) ، وقيل : اضطرابُ النَّفسِ لتوقع مكروهٍ . وعلامته حصولُ القشعريرة واضطراب القلب ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج : ٣٥] . ومعنى ﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ : « أي : فرعت استعظماً لشأن الجليل وتهيباً منه ، وهذا الوجَل في قلب المؤمن كضربة السَّعْفَةِ ، كما جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، وعلامته حصولُ القشعريرة »^(٢) .

وعن أمِّ الدرداء رضي الله عنها أن الوجَلَ في القلب كاحتراق السَّعْفَةِ ، أما تجد له قشعريرة^(٣) ؟

ومن الملاحظ أنه لم يرد في القرآن إسنادُ الوجَل من الله إلا للقلب . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢] . وقال : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج : ٣٤-٣٥] .

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةً ﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

وورد الوجَلُ من الملائكة في قصَّة إبراهيم على العموم ، ولم يخصصه بالقلب ، فقال : ﴿ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ ﴾ [الحجر : ٥٢-٥٣] . ولم يرد في القرآن الكريم إسنادُ الخشية أو الخوف إلى القلب .

٢٠٠ - سؤال : ما الفرق بين الرُّشْدِ والرَّشْدِ ؟

الجواب : الرُّشْدُ يقال في الأمور الدُّنيوية والأخروية . وأما الرَّشْدُ

(١) المفردات للراغب (وجل) ، لسان العرب (وجل) .

(٢) روح المعاني (٩ / ١٦٥) .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير (٢ / ٢٨٥) .

فيقال في الأمور الأخروية لا غير^(١) .

وفي (لسان العرب) : « الرُّشْد والرَّشْد والرَّشَادُ نقيضُ الغيِّ . رَشَدَ الإنسانُ بالفتح يَرشِدُ رُشْدًا بِالضَّمِّ .

ورَشِدَ بالكسر يَرشِدُ رُشْدًا ورشاداً ، فهو رَاشِدٌ ورشيْدٌ ، وهو نقيضُ الضَّلَالِ ، إذا أَصَابَ وجهَ الأمرِ والطَّرِيقِ »^(٢) .

والرَّشَادُ نقيضُ الضَّلَالِ ، والإرشادُ الهدايةُ ، وسبيلُ الرَّشَادِ سبيلُ القصدِ^(٣) ، وطريقُ الصَّوابِ والصَّلاحِ ، والغِيُّ الضَّلَالُ والخِيَةُ والفسادُ^(٤) .

وقد استعمل القرآن (الرُّشْد) بِالضَّمِّ للأمورِ الدنيويةِ والأخرويةِ . قال تعالى : ﴿ فَإِنِ انْتَسِمَ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء : ٦] .

وقال : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] . وقال : ﴿ إِنَّا سَيِّئُونَآءَ عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ [الجن : ١-٢] .

وقال : ﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَكُرُوا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

أما الرَّشْدُ فاستعمله في الأمورِ الأخرويةِ لا غيرُ . قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : ١٠] . وقال : ﴿ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَّبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : ٢٤] .

(١) انظر : مفردات الراغب (رشد) .

(٢) لسان العرب (رشد) .

(٣) انظر : لسان العرب (رشد) .

(٤) انظر : لسان العرب (غوى) .

وقال : ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾
 [الجن : ١٠] . وقال : ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن : ١٤] .

واستعمل (الرِّشَاد) في سبيل القصد وطريق الصَّواب والصَّلاح .
 قال تعالى : ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر : ٢٩] . وقال : ﴿يَتَقَوَّمُ
 اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر : ٣٨] .



فهرس المطاور والمراجعم

- الإلتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي تحقيق : محمود أحمد القيسية ، ومحمد أشرف سليمان الأتاسي ، مؤسسة النداء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .
- الأصول لابن السراج ، تحقيق : الدكتور عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف .
- الأمالي الشجرية ، لأبي السعادات هبة الله بن الشجري ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٤٩ هـ .
- أنوار التنزيل ، للقاضي البيضاوي ، المطبعة العثمانية ، ١٣٠٥ هـ .
- البحر المحيط ، لأبي حيان ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٨ هـ ، مطبعة السعادة ، مصر .
- البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م ، دار إحياء الكتب العربية .

- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، للدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، عمان ، الأردن .
- تاج العروس شرح القاموس ، لمحمد مرتضى الزبيدي ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، تصوير الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣٠٦ هـ .
- تفسير أبي السعود .
- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، طبع بدار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- التفسير الكبير ، لفخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .
- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب ، للإمام علاء الدين بن علي بن محمد الأربلي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م .
- درة التنزيل وغرة التأويل ، للخطيب الإسكافي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .
- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم ، لشهاب الدين السيد محمود الألوسي ، إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار إحياء الكتب العربية .
- شرح ألفية ابن مالك ، لابن الناظم ، المطبعة العلوية في النجف ، ١٣٤٢ هـ .
- شرح التصريح على التوضيح ، لخالد بن عبد الله الأزهري ، دار إحياء الكتب العربية .
- شرح رضي الدين الإستراباذي على الكافية لابن الحاجب .

- فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، سنة ١٣٤٩ هـ .
- الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري ، المكتبة التوفيقية ، تحقيق : أبي عمرو عماد زكي البارودي ، مصر .
- القاموس المحيط ، لمجد الدين الفيروزآبادي ، الطبعة الخامسة ، شركة فن الطباعة ، مصر .
- كتاب سيبويه ، مصور عن طبعة بولاق ، نشر مكتبة المثنى ، بغداد .
- الكشف ، لجار الله الزمخشري ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
- الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
- لسان العرب ، لابن منظور ، مصور عن طبعة بولاق .
- المصباح المنير ، لأحمد بن محمد الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت .
- معاني الأبنية في العربية ، للدكتور فاضل صالح السامرائي ، الطبعة الأولى ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠ م .
- معاني النحو ، للدكتور فاضل صالح السامرائي ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ، الموصل ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٩١ م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق : محمد بن محيي الدين عبد الحميد .
- المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، طهران .

- المفصل في علم العربية ، للزمخشري ، نشره محمود توفيق ، مطبعة حجازي ، القاهرة .
- ملاك التأويل ، لأبي جعفر الزبير الغرناطي ، تحقيق : الدكتور محمود كامل أحمد ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر .
- مع الهوامع ، للسيوطي ، مطبعة السَّعادة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٧ هـ .



فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الاية	رقم الصفحة
١٠١ - من سورة البقرة	٢	٧
١٠٢ - من سورة البقرة	٣٣	٩
١٠٣ - من سورة البقرة	١١٣	١٠
١٠٤ - من سورة البقرة	١٤٣	١٤
١٠٥ - من سورة البقرة	١٥٨	١٥
١٠٦ - من سورة البقرة	١٧٧	١٦
١٠٧ - من سورة البقرة	١٩١ - ١٩٣	١٧
١٠٨ - من سورة البقرة	١٩٦	١٩
١٠٩ - من سورة البقرة	٢١٢	٢٠
١١٠ - من سورة البقرة	٢٤٠	٢١
١١١ - من سورة البقرة	٢٦٠	٢٣
١١٢ - من سورة البقرة	٢٨٢	٢٣
١١٣ - من سورة آل عمران	١١	٢٦
١١٤ - من سورة آل عمران	١٤	٢٨
١١٥ - من سورة آل عمران	٤١	٢٨
١١٦ - من سورة آل عمران	١٥٧ - ١٥٨	٣٠

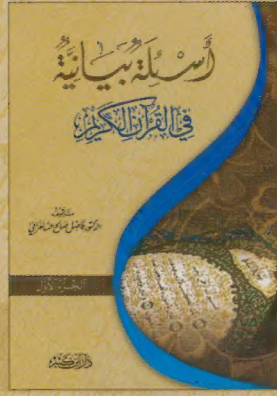
الموضوع	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٧ - من سورة النساء	١	٣٢
١١٨ - من سورة النساء	٤٨	٣٣
١١٩ - من سورة النساء	١٧١	٣٦
١٢٠ - من سورة المائدة	١	٣٦
١٢١ - من سورة المائدة	٣	٣٩
١٢٢ - من سورة المائدة	٣٢	٤٠
١٢٣ - من سورة الأنعام	٧ - ٩	٤٢
١٢٤ - من سورة الأنعام	١٠	٤٢
١٢٥ - من سورة الأنعام	٤٧	٤٤
١٢٦ - من سورة الأنعام	٩٠	٤٥
١٢٧ - من سورة الأنعام	٩٤	٤٨
١٢٨ - من سورة الأنعام	١٠٠	٤٩
١٢٩ - من سورة الأنعام	١٣٠	٥٠
١٣٠ - من سورة الأنعام	١٥٧	٥١
١٣١ - من سورة الأنعام	١٦١	٥٣
١٣٢ - من سورة الأنعام	١٦٥	٥٥
١٣٣ - من سورة الأعراف	٧٤	٥٧
١٣٤ - من سورة الأعراف	١٠١	٥٩
١٣٥ - من سورة الأعراف	١٠٣	٦٠
١٣٦ - من سورة الأعراف	١٧١	٦١
١٣٧ - من سورة التوبة	٢٦	٦٢
١٣٨ - من سورة هود	٣٥	٦٣
١٣٩ - من سورة هود	١٠٨	٦٥
١٤٠ - من سورة يوسف	٤	٦٥

الموضوع	رقم الآية	رقم الصفحة
١٤١ - من سورة يوسفَ	٢٤	٦٦
١٤٢ - من سورة يوسفَ	٩٠	٦٧
١٤٣ - من سورة يوسفَ	٩٤	٦٨
١٤٤ - من سورة يوسفَ	١٠٠	٦٨
١٤٥ - من سورة يوسفَ	١٠٩	٦٩
١٤٦ - دلالة القميص في قصّة يوسفَ		٧٠
١٤٧ - من سورة الرّعدِ	١٩ - ٢٢	٧١
١٤٨ - من سورة الحجر	١٦ - ١٨	٧٤
١٤٩ - من سورة الحجر	٧٣ - ٧٧	٧٦
١٥٠ - من سورة النحل	٤٨	٧٧
١٥١ - من سورة النحل	٦٥	٧٨
١٥٢ - من سورة النحل	١٢٠ - ١٢٢	٧٩
١٥٣ - من سورة مريمَ	١٥	٨٠
١٥٤ - من سورة مريمَ	٩٤	٨١
١٥٥ - من سورة طه	٩٧	٨٢
١٥٦ - من سورة الأنبياء	٤٦	٨٣
١٥٧ - من سورة الحجّ	٢٧	٨٦
١٥٨ - من سورة الفرقانِ	٧٠ - ٧١	٨٦
١٥٩ - من سورة الشعراءِ	٣٨	٨٧
١٦٠ - من سورة النّملِ	١٨	٨٨
١٦١ - من سورة النّملِ	٦٠ - ٦٤	٩٠
١٦٢ - من سورة الرّومَ	١٧ - ١٨	٩٢
١٦٣ - من سورة الأحزابِ	٥٠	٩٤
١٦٤ - من سورة فاطرِ	١٩	٩٥

الموضوع	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٥ - من سورة يَس	٦٥	٩٦
١٦٦ - من سورة الزمر	٢	٩٧
١٦٧ - من سورة الزمر	٧٠	٩٨
١٦٨ - من سورة فصلت	٢٠ - ٢١	٩٩
١٦٩ - من سورة الجاثية	٧ - ١١	١٠٠
١٧٠ - من سورة الفتح	٩	١٠٢
١٧١ - من سورة ق	١٢ - ١٤	١٠٣
١٧٢ - من سورة المجادلة	٦ - ٧	١٠٤
١٧٣ - من سورة الطلاق	٤	١٠٤
١٧٤ - من سورة التَّحريم	٣	١٠٦
١٧٥ - من سورة الملك	٢٠	١٠٦
١٧٦ - من سورة الحاقة	٤ - ٦	١٠٨
١٧٧ - من سورة المعارج	٤	١٠٩
١٧٨ - من سورة المزمل	٩	١١٠
١٧٩ - من سورة النبأ	٢٨	١١٢
١٨٠ - من سورة النبأ	٢٤ - ٢٦	١١٣
١٨١ - من سورة المطففين	٢٩	١١٥
١٨٢ - من سورة الغاشية	١٧	١١٦
١٨٣ - هل كان إبليس من الملائكة		١١٧
١٨٤ - الفرق بين (الإنسان) و (البشر) و (بني آدم)		١١٨
١٨٥ - الفرق بين القرية والمدينة (من سورة يس :		
	١٣ - ٢٠)	١٢٢
١٨٦ - الفرق بين (ذلك الفوز العظيم) و (ذلك الفوز الكبير)		
و (ذلك الفوز المبين)		١٢٣

الموضوع	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٧ - الفرق بين (أفلم يسيروا في الأرض) و (وأولم يسيروا في الأرض)		١٢٤
١٨٨ - لماذا قال في سورة الصّافاتِ في قسم من الأنبياء أنه ترك عليهم سلاماً ، ولم يقل في قسم آخر ؟		١٢٦
١٨٩ - الفرق بين قوله تعالى (المسيح ، والمسيح ابن مريم ، والمسيح عيسى ابن مريم) ونحو ذلك		١٢٧
١٩٠ - الفرق بين الأجرِ والرّزقِ		١٣٠
١٩١ - الفرق بين (يا ويلنا) و (يا ويلتنا)		١٣١
١٩٢ - الفرق بين البعلِ والزوج		١٣١
١٩٣ - الفرق بين القسطِ والعدلِ		١٣٢
١٩٤ - الفرق بين (وقع القول) و (حقّ القول)		١٣٣
١٩٥ - الفرق بين الوفاةِ والموتِ		١٣٤
١٩٦ - الفرق بين العذابِ والعقابِ والنكالِ		١٣٦
١٩٧ - الفرق بين الغنى والثروة		١٣٧
١٩٨ - الفرق بين الأبناءِ والأولادِ		١٣٨
١٩٩ - الفرق بين الخوفِ والخشيةِ والوجلِ		١٣٨
٢٠٠ - الفرق بين الرُّشدِ والرَّشَدِ		١٤٠
مراجع الكتاب		١٤٣
فهرس الموضوعات		١٤٧





أسئلة وإجابات حول الأسلوب البياني في القرآن الكريم، مرتبة حسب تسلسل الموضوعات في المصحف الشريف. ويجد القارئ لفتات عميقة، ونظرات صائبة، تدل على حسن التفهم، والربط بين الآيات، تأكيداً لإعجاز القرآن، وأنه موحى من لدن حكيم عليم. واعتمد المؤلف على المصادر الموثوقة المعتبرة لدى العلماء، من التفاسير، والمعاجم، وكتب الغريب، وبعض المراجع الحديثة ذات الصلة بموضوع هذا الكتاب، وهي بمجموعها تزيد على الثلاثين مصنفاً. وأسلوب السؤال والجواب يثير الفكر، ويحرض العقل على التأمل والتدبر، ويساعد على الحفظ والاستظهار، واستحضار الجواب عند المذاكرة في نصوص التنزيل.

ISBN 978-614-415-040-5



9 786144 150405



www.ibn-katheer.com
info@ibn-katheer.com